الأُزْرِيَّة

في مدح النبيّ والوصيّ والآل

«صلوات الله عليهم أجمعين»

لناظمها

الشيخ محمد كاظم الأزري

وتخميسها

للأديب الاريب الشيخ جابر الكاظمي

عليه الرحمة

الأُزْرِيَّة

في مدح النبيّ والوصيّ والآل

«صلوات الله عليهم أجمعين»

لِناظِمِها

الشيخ محمّد كاظِم الأُزري

وتخميسها

للأديب الاريب الشيخ جابر الكاظمي

عليه الرحمة

الطبعة الأولى

١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م

دار الأضواء
للطباعة والنشر والتوزيع

حارة حريك - شارع دكاش - ص.ب: ٢٥/٤٠ - برقياً: غبيري - حسنكو - بيروت - لبنان.

محمد كاظم الأزري

شاعر الأزرية

نسبه وولادته ووفاته :

محمد كاظم المعروف بالملا ـ تصحيف : المولى ـ هو ابن الحاج محمد (١) بن الحاج مراد بن الحاج مهدي بن إبراهيم بن عبد الصمد بن علي الأزري البغدادي التميمي ، نسبة إلى بني تميم القبيلة العربية المعروفة في العراق . وآل الأزري من أشهر بيوتات بغداد الثرية في القرنين الأخيرَيْن ، وهم غير آل الأزري الذين منهم الشاعر الكبير الحاج عبد الحسين فإنهم قبيلة ثانية تغلّب عليهم هذا الأسم . والمترجم له تولد في بغداد سنة١١٤٣هـ وتوفي سنة ١٢١١هـ غرة جمادى الأولى حسبما يذكره صاحبا الذريعة والكنى والألقاب ، ودفن في الكاظمية ولهم مقبرة خاصة فيها قبالة مدفن السيد المرتضى علم الهدى والآن هي في داخل بناية مقبرة السيد . ولم يترك له عقباً من الذكور وكذلك أخوه الشاعر الفحل

---

(١) وسماه الأستاذ حميد الدجيلي في مجلة الدليل ع٦ س٢ بالحاج مهدي .

العالم الشيخ محمد رضا ، ولعل هذا من أهم أسباب تفرق آثارهما وضياع جملة منها .

مكانته الاجتماعية :

تخلد هذا الشاعر الفحل بألفيته المشهورة بـ « الأزرية » فكان منذ ذلك الحين مثار إعجاب الأدباء والعلماء بشاعريته وأدبه وفضله ، وكان لدى علماء عصره مبجلا محترما لا سيما عند السيد بحر العلوم ، وتنقل إلى اليوم على ألسنة الناس مبالغات في احترامه وتقدير ألفيته خاصة لدى العلماء ، حتى ينقل عن الشيخ صاحب الجواهر أنه كان يتمنى أن يكتب في ديوان أعماله (القصيدة الأزرية) مكان كتابه (جواهر الكلام) . وجواهر الكلام ! هذا الكتاب العظيم في الفقه الذي لم يكتب مثله .

وكان ـ على ما هو المعروف ـ حليقاً مفتول الشاربين على عادة أهل زمانه ، وهذا ما ينكره المتشرعون ولا سيما أنه تربّى في النجف الأشرف تربية دينية ، ولكن أهل الدين مع ذلك لم يكونوا يتضايقون منه لما عرف به من الجهاد والدفاع عن العقيدة ، وقيل إن بحر العلوم نفسه ربما كان يعتذر له بأن ما يقوم به من الدفاع والجهاد وما يقتضي ذلك من الانغمار في محيط بغداد وحكامه هو الذي كان يدفعه إلى اختيار هذه الهيئة مجاراة لمحيطه وتعزيزاً لمواقفه المجيدة وربما كان هذا في نظره ما يبرر له هذا العمل .

نعم إن الرجل كان من شخصيات بغداد اللامعة الذين يشار إليهم بالبنان ، وكان ممن يتقى في صولته وقوة عارضته وحجته ،

وكـان صريحـاً في مخاصمـاته لا ينـام على ضيم ولأجل ذلـك كان مهاب الجانب محترماً في نـظر الجميع العـدو والصديق ، الشعب والحكومة ، أضف إلى أنه كان عزيز الجانب بانتسابه إلى بني تميم وهم في جوار بغداد، وهوأيضاً من بيت رفيـع في بغداد . وزاد في منعته اتصاله بأمراء آل الشاوي وصـداقته معهم صـداقة وثيقـة وكان أكثـر مديحـه في ديوانـه للحاج سليمـان الشـاوي الـذي كـانت لـه الصولة حتى في مقابلة الحكومة العثمانية .

شاعريته : ومن ناحيـة شعره كـان من فحول شعـراء القرنين الثـاني عشـر والثـالث عشـر للهجـرة ، وهـذا القـرن الثـالث عشـر بالخصوص كان لامعا من ناحية أدبيـة في تأريـخ القرون الإسـلامية بعد القرن الرابع وكان زاخراً بالشعراء المجيدين كالرابع .

وفي الحقيقة إن الروح الأدبية في العالم العـربي بعد القـرن الرابع قد تدنت وجمدت إلى حد بعيـد ولم يعد الأدب في القـرون اللاحقة إلا صناعة لفظية باهته، وكلّماتقدم الزمن كانت تتـأخّر هـذه الصناعة حتى بلغ أقصى تدنيها في القرن العاشـر والحادي عشـر ، وفجأة بدت تباشير حركة أدبية عاليـة في العراق في النصف الثـاني من القرن الثاني عشر الذي كان صاحبنا المترجم لـه وأخوه الشيـخ محمـد رضـا من ألمـع شخصيـاتـه الأدبيـة . ولم تعـرف إلى الآن الأسباب الحقيقية لتلك الحركة المفـاجئة على التحقيق وإن كـانت التكهنات والتخرصات كثيرة ، في حين أن ذلك القرن كـالذي قبله من أظلم القـرون التي مرت على البـلاد الإسلاميـة عـامـة والبـلاد العربية خـاصة ولا سيمـا العراق الـذي كان في تلك الأيـام سـاحـة

للصراع العنيف بين الحكومتين الإيرانية والعثمانية إحداهما مع الأخرى وبين القبائل العراقية مع إحدى هاتين الحكومتين وفيما بينها . وهذا عادة مما يسبب خمود كل حركة فكرية وغير فكرية .

ومن الغريب حقاً أن يتفق مع ظهور هذه الحركة الأدبية ظهور حركة واسعة لم يسبق لها مثيل للعلوم الدينية في العتبات المقدسة النجف وكربلاء ، وبرز في هذه الظروف علماء مجتهدون جددوا الفقه وأصوله في نوع التفكير وأسلوبه ، ولا تزال الدراسة عندنا تستقي من ينبوعهم بل هي عيال عليهم ، وهنا يحير الباحث ويحضر عنده السؤال عن أن هذه المقارنة بين ظهور الحركتين هل كانت بمحض الاتفاق أو أن الحركتين كانتا تستقيان من منبع واحد ؟ لا شك أن مجال البحث لا يزال واسعا أمام المعنيين بهذه الشؤون ، بل لا يزال الموضوع بكراً . ولسنا الآن بصدد علاج هذه الناحية وليست هذه الكلمة العابرة بمتسعة لمثل هذا البحث الشائك .

وكل الذي أردناه هو الإشارة إلى اقتران الحركتين اللتين أثّرت إحداهما في الأخرى فكان أكثر الفقهاء من الأدباء أو المتأدبين وأكثر الشعراء من المتفقهين ، والمترجم له صاحبنا قد جمع بين هاتين الفضيلتين . ولا شك أن دراسته في النجف كان لها الأثر الكبير في نمو ملَكته الأدبية ، وما انتقل إلى بغداد إلا وكان من أبرز أقطاب الحركة الأدبية فيها ، بل على يديه وعلى يدي نفر قلائل في بغداد والنجف والحلّة بدأ ظهور الحركة الأدبية القوية الناضجة في القرن الثاني عشر . ومنهم استمدت هذه الحركة واستمرت إلى

القرن الثالث عشر كله فبلغت أوجها في أخرياته ، بل ما كان تطور الشعر والأدب في قرننا الحاضر - الرابع عشر - إلا بفضل تلك الحركة التي ابتدأت بالأزريين واستمرت إلى أوائل قرننا إذ هيأت شعراء أفذاذاً صادفوا ابتداء طلائع الحركة التجديدية الحديثة التي دبت في المحيط العربي ، فتمكنوا من تغيير أسلوبهم وتفكيرهم .

فشاعرنا فضلا عن كونه من فحول الشعراء له فضل إنشاء الحركة الأدبية العالية في العراق . ولم نعرف أحداً قبل تأريخه لا سيما في بغداد يبلغ شأوه أو يجري في مضماره وقد صدق فيما قال عن نفسه :

يا أبا أحمد رويداً رويداً أنا في الشعر صاحبُ المعجزات

وحقّاً إنه صاحب المعجزات في الشعر وكفى في معجزاته ألفيته التي نقدّم ترجمته لأجلها وهو ممن غرم بالشعر الى حدّ الإفراط حتى صار يأكل معه ويشرب ولكنه يريد أن يوهمنا أن الشعر هو الذي يتعشّقه فيقول :

أبى الشعر إلا أن يحل بساحتي فيأكل من زادي ويشرب من شربي
إذا أنا لم أعبأ به عمر ساعة توهم هجراني فلاذ الى جنبي

ولأجل ذلك كان رحمه الله بارعاً في جميع فنون الشعر المعروفة يومئذ ، فهو في الرثاء يستدرّ الدموع وفي التشبيب يدغدغ القلوب وفي المديح يحلي جيد العاطل ، وفي كل فنّ له آية وله من روائعه في الغزل ما يزال سائراً على أفواه الناس كقصيدته اللامية التي يقول في أولها :

بـأي جنايـة منع الـوصـالَ أبـخـل بـالـمـليـحـة أم دلال
تحـرم أن تمس الـنـوم عيـني مخـافـة أن يمـر بهـا خيـال
وفي الـركب اليمـانيين خشف بحبـات القلوب لـه اكتحـال

إلى أن يقول ما يذوب رقة ولطفاً :

يمينـاً ان في بـرديـه نـشـراً كمـا هبت بغـاليـة شمـال
وفي ديبـاجتيـه فتـاة مسـك يقـال لهـا بـزعـم النـاس خـال

وكقصيدته الميمية الرقيقة التي يقول في مطلعها :

أي عـذر لـمـن رآك ولامـا عميت عنـك عينـه أم تعـامى
أولـم ينـظر الـلواحظ تـهـدي سقمـاً والشفـاه تشفي السقـامـا

وله في مراثي الحسين عليه السلام من الشعر الخالد ما يزال يقرأ على المنابر ويعد في الطليعة مثـل رائيته المشهـورة التي يقول في مطلعها :

هي المعـاهـد أبلتهـا يـد الغيـر وصـارم الدهـر لا ينفـك ذا أثـر

ومن براعته في فن الأدب وتمكّنه من اللغة نظمه لعدة قصائد عامرة كل شطر منها تأريخ للحادثة التي نظم فيها قصيدتـه . وقد لا تـرى أثـراً للتكلف إلا ضعيفـاً ، كـالقصيـدة التي يمـدح بهـا نقيب الأشراف سنة ١١٨١هـ وهي تبلغ ٦٥ بيتاً ومطلعها :

قم للدنان فقدم بهجة[١] الطرب وشفف الكأس في مرعى من اللعب

---

(١) يلاحظ : أنه في هذا البيت وفي غيره يعد التاء القصيـرة بأربعمئـة بينما يجب أن تعد بخمسة لأنها تكتب هاء .

وكان له ذوق خاص في ضرب الأمثال واقتفاء التشبيهات المستملحة ، ولا تكاد تخلو قصيدة من قصائده من روائع ومبتكرات في هذا الباب فامتاز شعره بذلك ، ويكفي للشاهد على ذلك أن نحيلك إلى قصيدته الرائعة في رثاء الحسين عليه السلام التي تقدمت الإشارة إليها وهي الرائية .

ثقافته :

لم يذكر عن شاعرنا ماذا درس في النجف وعلى من تلمذ وبأية درجة كانت ثقافته ، غير أن الذي يقرأ شعره يرى فيه لفتات الفاضل العالم بالمعارف الإسلامية ، بل أكثر من ذلك يجد أنه قد درس الفلسفة وفهم دقائقها ، وإن كان يقول :

كفي رويدك واقصري يا هذي   هيهات ليس الفيلسوف بهاذ

وإلا فلا تخل غير الدارس للفلسفة المتذوق لها يتمكن أن يقول في « ألفيته » في مدح أمير المؤمنين عليه السلام :

وهو الآية المحيطة في الكون ففي عين كل شيء تراها
الفريد الذي مفاتيح علم   الواحد الفرد غيره ما حواها
هو طاووس روضة الملك بل نا   موسها الأكبر الذي يرعاها
وهو الجوهر المجرّد منه   كل نفس مليكها سواها
لم تكن هذه العناصر إلا   من هيولاه حيث كان أباها

ففي هذه الأبيات ـ أولا ـ تلمح النزعة الإشراقية إلى القول بوحدة الوجود ، ذلك قوله (ففي عين كل شيء تراها) وأراد بالعين

الـوجـود العيني للشيء كمـا هـو اصـطلاحهم ، و ـ ثـانيـاً ـ قـولــه (طاووس روضة الملك) وهـو اصطلاح عـرفاني المسمى عنـدهم أيضـاً بالعنقـاء ويقصدون بـه الملك الـروحـاني المـدبِّر أو العقـل الفعـال ، وكـذلـك كلمـة (نـامـوسهـا الأكبـر) من اصـطلاحهم ، و ـ ثالثاً ـ في البيتين الآخرين يشير من طرف خفيّ إلى نظرية المثل الافلاطونية في أحدث تفـاسيرهـا الدقيقـة ، فيطبِّق المثـال المجرد للنـوع الإنسـاني على الإمـام ، كمـا هــو رأي بعض الفـلاسفـة الإشراقيين ، ولذلك هو يعبر عن الإمام بالجوهر المجرد الـذي منه أشخـاص النوع تمتـد في تكوينهـا وتزكيـة أخلاقهـا بتدبيـر المليك المصوّر تعالى شأنه .

ويشيـر إلى نظريـة السببيّـة استـطراداً وهي عنـده بمـوضـوع الاعتبار فيقول من قصيدة :

هبي لـه تصلي إلى حـرم الغنى   لا بــد من سبب لكــل مسبـب

وهكذا تجد في أبيـات كثيرة إذا تـدبرتهـا أن الرجـل صاحب فلسفـة وعلم ، فضلا عمـا ينطق بـه شعره وبـراعته فيـه من دراسته للعلوم العربية والإسلامية .

حالته المالية :

كان أبوه من تجار بغداد وأثريائها ، وقيل إنَّ له موقوفات في بغـداد لا تزال بـاقية إلى الآن ، ولكن هـل معنى ذلك أن ابنـه هذا ورث هذا الثراء والتجـارة فعاش عيشـة الأثريـاء التجار ، أو أنـه قد أدركته حرفة الأدب ؟ أحسب أن الذي يستقرىء شعره يجد أثر نكبة

الأدب له ظاهرة في ثناياه ، فكان حليفه الفشل في الحصول على أسباب الرزق الحر ، وإلا فما للثري أن يقول :

إني وإن أمسيت صفر أنامل فمعظم الأفلاك غير مكوكب
يا ناق إن حمى سليمان الندى مرعى الجديب فيمميه لتُخْصِبي

وسليمان هذا هو سليمان بك الحميريّ لا سليمان الشاوي ، ويبدو أنه كان يستعين به على زمانه ، وأكثر من ذلك نجده يقول لنا معتذراً عن حاجته في استجدائه منه في قصيدة أخرى :

أيروعني الزمن الذي لا جوده جودي ولا إقدامه إقدامي
لم يعيني طلباً ولكن ربما أتت السهام خلاف قصد الرامي
وإذا طلبت منى ولم أظفر بها فالعضب قد ينبو نبو كهام
ومتى وصلت إلى سليمان العلى عرّفته بمقامه ومقامي

إلى أن يقول معترفاً بفضلِ ممدوحه عليه :

لله أنملك اللواتي ألحمت بسدا منايحها العظام عظامي

وهذا لا شك شعر محتاج قد انسدت في وجهه أسباب الرزق من طريق الكسب وقبل منح وهدايا ممدوحيه . وله من هذا الباب شعر ليس بالقليل .

ولا شك أيضاً أنّ ضيق ذات يده وتقطّع أُسباب الرّزق عليه هو الذي جعله في دخيلة نفسه يؤمن بالحظوظ بالدرجة الأولى وينسب كل نجاح أو فشل إليها ، وإن كان هو في عين الوقت ممن يؤمن علمياً بنظرية السببية كما قدمنا قريباً ، فإنه قال مرة :

لـولا الحـظوظ لمـا ألفيت ذابَلةٍ يجني النظار وشهم القوم يحتطب
تـالله كم قـاعـد يؤتى خـزائنهـا وربمـا لا ينـال القـوت مكتسب

وقال مرة أخرى :

وما هو إلا الحظ يـولي معاشـراً نحـوساً ويـولي آخـرين سعـوداً

ولـه من هـذا النحـو في إرجـاع كـل شيء الى الحظ القـول الكثيـر الذي يـدل على تـأثـره النفسي الـذي اضـطره إلى الإيمـان بالحظ الإيمان المطلق كأكثر الناس الذين لا يكون حليفهم النجـاح في حياتهم المادّية .

وبعـد هذا يستـطيـع البـاحث أُن يستخـرج كثيـراً من أفكـاره وأحـواله الشخصيـة من شعره لـولا أن هذه الكلمـة العابـرة لا تسع لأبحاث أخرى . ولعلي أفتـح الباب بهـذه الترجمـة المختصرة إلى من يريد أن يحيط بأحوال هذا النابغـة ، فمثلا نستـطيع أن نستنتـج أنه كان يلثغ بالراء ويقلبها عيناً من قوله :

ولم ألغ حرف الـراء إلا لحكمة إذا فهت بالراوي تلفظت بالعاوي
وقالوا روى عنك الأحاديث كاذب لقد صدقوا لكنما كذب (الراوي)

ألفيته :

ونختم كلمتنـا عنه بـالحديث عن ألفيتـه العامـرة المعـروفـة بالأزرية التي لأجلها ترجمناله ، وقد طبقت شهرتهـا الآفاق واقتناها رواد الأدب والمعـرفة وحفظـهـا أهـل المنـابـر والخـطبـاء وخلدت شـاعرهـا في الطبقـة الأولى من شعراء اللغـة العربيـة ، ولا غرو ،

فإنها تجمع إلى المتانة والجزالة وضوح الديباجة ، ورقة الأسلوب ، ودقة التعبير وتركيز الفكرة وقوة الحجة وسلاسة البيان ، وسلامة اللفظ ، كما تجمع إلى الإستدلال المتين على العقيدة ، والحماسة الدينية المشبوبة ، والقصص التأريخية ، والمناحي الأخلاقية العالية ، والدعوة إلى العدل الإسلامي ، كل ذلك مع المدح والثناء البالغ لسيد الرسل وآل بيته الطيّبين عليه وعليهم السلام ، فجاءت كما تقرأها آية في الفن ومفخرة من مفاخر الشعر العربي بل معجزة من معاجزه لم يسبقه إلى مثلها وطول نفسها سابق ولم يلحقه لاحق ، وهي على طولها مع أنها على قافية واحدة لا تجد بين أبياتها ضعفاً أو هبوطاً عن مستواها العالي ومما يؤسف له حقاً أن ناظمها كتبها في طومار للاحتفاظ بها ، وهي تبلغ الف بيت فأكلت الأرضة جملة منها ، والذي بقي منها على التحقيق٥٨٧ بيتاً، وهو الموجود المتداول بين أيدي الناس الذي خمسه المرحوم الشيخ جابر الكاظمي .

وهي ينبغي أن تعد كتاباً دينياً لاقصيدة ، فإنها تمثل رأي الإمامية في النبوة والإمامة كاملاً، وفيها كثير من المباحث الكلامية وإقامة الحجج عليها في باب الإمامة تغني بجملتها عن مجلدات ضخمة ، ولا شك أن تركيز الفكرة واختصار العرض ، وإيجاز الدليل ، وتلخيص الوقايع ، ودقة التعبير ، كل ذلك لا يحصل بالنثر كما يؤديه الشعر ، مضافاً إلى أن للشعر تأثيره الكبير في النفوس لإقناعها وتوجيهها . فهو أكثر أثراً في الجدل الديني وغير الديني من النثر .

الشيخ جابر الكاظمي

مخمس الأزرية

١٢٢٢ - ١٣١٣هـ.

كـان لتخميس (الأزرية) الـذي برع فيـه هذا الشـاعر رنـة استحسان في الأوساط الأدبيـة والدينيـة ، بل كـان السبب في ذيوع صيتـه وشهرتـه وتخليد اسمـه في مصـاف (شعـراء آل البيت) في القرن الثالث عشر الذي نبـغ فيه جمـاعة كبيـرة من فحول الشعـراء كما قلنا في ترجمة الأزري ، وكاد أن يعد بسبب هذا التخميس في الطليعة منهم .

وفي الحقيقة إن الشيخ جابر الكاظمي هذا شـاعر كبيـر ممن ازدان بـه عصره ، ولـو لم يكن لـه إلا تخميس الأزريـة هـذا لكفى دلالة على شاعريته وبـراعته الأدبيـة ، فإنـه يدل على سـلامة ذوقـه وجودة تفكيره وتمكّنه من اللغة ومعرفته بأساليب البيان . ومع ذلـك فله ديوان شعر عامر فيـه كثير من الشعـر العالي المـطبوع ولا يـزال مخـطوطاً واسمـه (سلوة الغـريب وأهبـة الأديب) وتجـد جملة من شعره العامر في (أعيان الشيعة) في ترجمته .

وكانت تربيته الأولى في النجف في الوقت الذي كانت تعج فيه بالشعراء ونوادي الأدب العامرة ، ولا شك أن لتربيته هذه التأثير الكبير في صقل قريحته وتوجيهه إلى الناحية الأدبية ، ومن أجل ذلك كان يتصل بجماعة كبيرة من ذوي البيوتات في النجف من شعراء وفضلاء وعلماء ، وله أصدقاء كثيرون فيها قارضهم الشعر ومدحهم وساجلهم فيه ، كآل كاشف الغطاء وآل الخرسان والشاعر المعروف السيد راضي القزويني وغيرهم .

ولذا يقول في مطلع رثاء المرحوم السيد حسن الخرسان (وهو من الأفذاذ في علمه ومنزلته الإجتماعية وشجاعته وإباء نفسه) وذلك سنة ١٢٦٥ :

دمن قضيت بربعها أوطاري   وخلت فيها للشباب عذاري

وكان له مطارحات ومساجلات مع جملة من شعراء عصره في النجف وبغداد ، منهم الشاعر المشهور عبد الباقي العمري . وفي ديوان عبد الباقي جملة من هذه المساجلات التي تدل على ذوق رفيع وأدب عال .

وأديبنا فضلاً عن كونه شاعراً بالعربية فإنه كان شاعراً بالفارسية مجيداً فيها ، وله ولعبد الباقي العمري قصائد مشتركة ملمعة من شطر فارسي وآخر عربي والقسم الفارسي منها لأديبنا والعربي لعبد الباقي . وكان يتصل بالملوك والأمراء الذين كانت عندهم سوق الأدب رائجة ويعطفون على الأدباء والشعراء . وسافر هو إلى (طهران) في زمان فتح علي شاه وامتدحه بقصيدة باللسان

العربي فأجازه عليها . وكذلك سافر مرة أخرى إليها في زمان محمد شاه ومدحه أيضاً بقصيدة عربية .

وأصيب في أخريات عمره بمرض عصبي شديد ، قيل حتى سكن ستة أشهر تحت السماء في أعلى السطح مكشوف الرأس ولم يتكلم بكلمة . وكان يتخيل في الشيخ محمد حسن آل يس المجتهد الكبير المشهور أنه صاحب الأمر المنتظر متستراً باسم الشيخ محمد حسن . وقد عولج بالأخير فتحسنت حاله ، وقد نقل السيد الأجل العلّامة الأمين حفظه الله تعالى في كتابه (أعيان الشيعة) أنه رآه وهو شيخ كبير .

نسبه :

في أعيان الشيعة : أنه أبن الشيخ عبد الحسين بن عبد الحميد (المعروف بحميد) بن الجواد « ١ » بن أحمد « ٢ » بن عباس بن خضر بن عباس بن محمد بن المرتضى بن محمود بن محمد بن الربيع الربيعي ، ينتهي نسبة إلى ربيعة بن نزار ، فهو عربي الأصل والمنشأ ولكنه لم يلقب بقبيلته وإنما المعروف تلقيبه بالكاظمي .

وأمه علوية تسمى بالهاشمية بنت السيد جواد البغدادي ، وكانت جليلة القدر عابدة زاهدة ، يحكى أن صاحبَيْ الفصول

---

(١) الجواد أبو قبيلة تعرف بالجوادات في «بلد» التي بين بغداد وسامراء .

(٢) وفي الذريعة أضاف اسم «خضر» بين أحمد وعباس والعباس هذا كان أباً لتسعة أولاد يسكنون في «بلد» .

والجواهر كانا إذا جاءا لزيارة الكاظميّينْ عليهما السلام يـزورانها في دارها لجلالتها . ويشير هو إلى نسبه من أمه بالأبيات التي مدح بها الشيخ محمد الشيخ علي كاشف الغطاء ، وكان الشيخ يتعهده ويجزل له العطاء فأعطاه مرة عباءة فاخرة فأنشأ ارتجالا :

إن خير الورى محمد من في مثله بعده عقمن النساء
شملتني منه العبا فحبتني بفخار يدوم تلك العباء
أنا من (أهلها) وقد شملتني نسبة حيث جدتي (الزهراء)

وهو خال السيد الجليل المجتهد السيد حسن الصدر الكاظمي رحمه الله

محمد رضا المظفر

في مدح النبيّ والوصيّ والآل

« صلوات الله عليهم أجمعين »

لناظمها

الشيخ محمّد كاظم الأزري

وتخميسها

للأديب الاريب الشيخ جابر الكاظمي

بسم الله الرحمٰن الرحيم

شَمسُ حسنٍ كالشمس رأدُ ضُحاها كم أماطَت عن اللّيالي دُجاها
قُلتُ إذ لاَحَ للعُيونِ سَناها لِمنِ الشَّمسُ في قبابِ قُباها
شَفَّ جسمُ الدُّجى برُوحِ ضِياها
لَيْسَ يَدرِي مَن شامَ مِنها اتّقادا وإليها رأى الورَى قُصَّادا
ألِمن تجنِبُ السَّراةُ جِيادا وَلِمن هذِهِ المطايا تَهادى
حيّ أحياءها وحَيّ سَراها
هاجَها ضوءُ بارق مُستنيرِ فمضت تَسبِق الصَّبا بِمَسيرِ
وَلَدَيها العسيرُ غيرُ عَسيرِ يَعمُلاتٌ تُقِلُّ كُلَّ غَريرِ
قد حَكَتهُ شمسُ الضُّحى وحكاها
أنَحلَ الجسمَ لم يَدَع ليَ ظِلاً مُذ عليَّ النَّوَى نَواهُم تَولَّى
فَوَحقِّ الذي بِقلبي استقلاَّ ما أراني بُعْدُ الأحبَّةِ إلاّ
رَسْمَ دارٍ قد انْمَحى سِيماها
أنا حِلفُ الهوى فلم أرَ ضَيْرا في غرامٍ رأيتُ عُقْبَاهُ خيرا

ولِسَجعٍ يطيرُ باللُّبِ طَيراً كم شجتني ذاتُ الجناحِ سُحَيراً

حين طار الهوَى بها فَشَجاها

أنا مهما أنسى الصَّبا وزَرُودا لستُ أنسى بها وُرُوداً وَرُودا

وهي في ذِكرِها جوىً معهودا ذكَّرتني وما نَسيتُ عُهودا

لو سَلا المرءُ نفسهُ ما سَلاها

لم أزل في جوى فُؤادٍ مُؤجَّج من هَوىً صِرف راحةٍ ليس تُمزج

ولَكَمْ حيثُ فَرْعُ ميَّ تأرَّج نَبَّهت عَينيَ الصَّبابةُ والوجـ

ـدُ وإن كان لم يَنم جَفناها

كُنتُ لم أعرِف الهوى وهو أتقى ليَ والنفس بالصَّبابة تشقى

ولكم نبَّهَ الهَوى من تَوَقَّى فَتَنَبَّهتُ للتي هي أشقى

والهوى لِلقُلوب أقصى شَقاها

كَم أَلَمَّ الهَوَى بقلبٍ فَأَلْمْ بِحَشاً من أُوامِهِ تَتَضرَّم

لا تَلوما ذا ناظرٍ فاضَ بالدَّم يا خليلَيَّ كلُّ باكيةٍ لم

تَبكِ إلّا لِعلَّةٍ مُقْلَتاها

أضرمَ الحبُّ في حشاها وأجّج نارَ وَجدٍ على الدَّوام تُؤَجَّج

فإذا خدُّها بدَمعٍ تضرّج لا تَلومَا الوَرقاءَ في ذلك الْوَجـ

ـدِ لعلَّ الذي عَراني عَراها

ذَكَرَت جيرةً أطالت عَناها إذ أطالت على الثَّناء جباها

فهي إن بُلَّ بالْبُكاءِ جَواها خَلِّياها وشأنَها خلِّياها

فعساها تبلُّ وَجْداً عَساها

جَدَّ فِيهـا الغَــرامُ من دونِ مَين   فـأسـالت دَمعـاً جـرى كلُجين
ولَـعمــريَ إذ لا تُــراعِ بِبَيـنِ   كـان عهـدي بهـا قـريــرةَ عينِ
فـاسـألاهـا بـالله مِـمَّ بُكـاهـا

طائرُ القلبِ صـادحٌ فوق دَوحي   يقـرأُ العِشقَ من لوائـحِ لَـوحي
كم بِرُوحي أُودَى الهوى وَبِرَوحي   ليتَ شعري هل للحمائم نَوْحي
أم لَـدَيهَا لَـوَاعِجِي حـاشـاهـا

كم لعشقٍ أسـرعتُ وهي تـأنَّت   وبنفْسي في الحُبِّ جُدتُ وضنَّت
وَلَكم هـاجني الهوى واطمـأنَّت   لـو حَوَت مـا حَـويتـهُ مـا تغنَّت
سَـل عن النَّـارِ جسمَ مَن عـانـاهـا

كم رحَلتُم إذْ قَـدْ رحلتُم بقلبِ   وبــوَجـدٍ أتحفتُم كـلَّ صَـبِّ
فبحـقِّ الهـوى ولــوعَــة حُـبِّ   أهـلَ نجـدٍ رَاعُــوا ذِمـامَ محبِّ
حَسِبَ الحُبَّ روضــةً فَــرعــاهـا

فــوفـاءً أَهْــلَ الــوَفَا والتحنّنْ   فـالْجَفَا من وَفـاكُم ليس يَحسُنْ
إن أردتُم تصحو القلوبُ وتسكنْ   عـوِّدونا على الجميـلِ كمـا كُنْـ
ـتُم فقـد عـاودَ القُلوبَ أسـاهـا

كم حُبِينـا بالقـربِ منكم سُرورا   وشَـرِبنـا من الشّفـاه خُمــورا
إن مَنعتُم مـن الثغُــورِ ثُغــورا   قـرِّبـونـا منكُم لِنَشْفِي صُـدُورا
جَعــلَ اللهُ في الشِّفــاهِ شِفـاهـا

إن نَــأَيْـتُـمْ عَــنَّـا وَشَطَّ مــزارُ   وتـنـاءت عن الـمُـحـبِّ ديـارُ
عَلِّلونـا بـالقُــربِ فهـو افتخـارُ   وعِـدُونا بـالْوَصـلِ فالهجـرُ عارُ

كيف تَستحسنُ الكِـرامُ جَفـاهـا

كم ليالٍ بالوصلِ كـانت تَحلَّى   وزمـانٍ بـه الـهُمـومُ تـجلَّى

إنْ تُحيَ العهـدَ الذي قـد تولَّى   حيِّ أوطـانَنا بـوادي المُصلَّى

فـهـي أوطـارُ نَـشْـوَةٍ نِلنـاهـا

كـان أهلُ الهـوى إليها تَقـاصَـدْ   والغـواني بين المغـاني تَمـايَـدْ

وأُولُـو الحُبِّ بـالـوفـاء تعـاهَـدْ   حيثُ صُحْفُ الغرامِ تُتلى وما أَدْ

راكَ مـا لَفـظُهـا ومـا مَعنـاهـا

أربـعٌ والـحِسـانُ مُؤتَـلِفـاتُ   في رُبـاهـا وللزَّمـانِ الْتِفـاتُ

وثـنـايـاً كـأنَّـهـا عَـرَفـاتُ   كم لأهـلِ الهـوى بهـا وقفـاتُ

أوقَـفَـتْهـا عـلى بُـلُوغِ مُـنـاهـا

وَلَـكَم لـلزَّمـانِ بِيْضُ عَـطايـا   حُلْنَ مـا بيننـا وبينَ الـرَّزايـا

ذكَّـرَتنـا بهـا وُقـوفَ المـطايا   حبَّـذا وقفـةٌ بـتلك الـثَّـنـايـا

صَـحَّ حجُّ الهـوى بـوادي صَفـاهـا

لم تَشُبْ وَعْدَنَا العذَارى بمَطلٍ   لا ولم نُصغِ في الغَرام لِعَـذْلٍ

وبـروض الهـوى بهتَّـان وَبْـلٍ   كلَّمـا مـرَّ من سحـائبِ وصـلٍ

سـارَ سِـرُّ الهـوى بهـا فَمَـراهَـا

كَم كَسـانا الهـوى ثيابَ عَفـافٍ   وسقـانـا منـهُ كُؤوسَ تَصـافٍ

وبعهـدِ الصِّبـا لأجـلِ ارتشـافٍ   كلَّمـا أسلفَ الصَّبـا من سُلافٍ

تصقُـلُ الدَّهـر نسمـةٌ من شـذاهـا

كم ليـالٍ بِيضٍ حَبَتْنـا صَفـاهـا   ذَهَبت لَـو تعـودُ مـا أحـلاهـا

أجَّجت في الحشا لظىً ذِكْراها   أيــن أيّــامُ رامَــةٍ لا عَــداهــا
مَــدمَـعُ العــاشقينَ بَـلْ حَيَّــاهــا

ذاكَ دهــرٌ للعيش فيــه بُعِـثنــا   ومن البؤسِ كم بـه قـد أُغِثنــا
وَلَهَــوْنــا بــه وكم قــد عَبثنــا   دَهْــرُ لَهْــوٍ كـأنَّنــا مــا لَبِثنــا
فيــه إلّا عَـشيَّــةً أو ضُحــاهــا

بـالنَّـوى يــأمـرُ الغَــرامُ وينهى   في قُلوبٍ لهــا الحـوادثُ تُنهى
كم رَوت أَلْسُنُ الصَّبـابـة عنهــا   مـا لنـا والنَّــوى كفَى اللهُ منهـا
أيّ نُــكــرٍ أتــت بــه كــفَّــاهــا

كم من النَّـائبـاتِ لُــذنـا لــواذا   بــالأسى إذ نـأَوا ورُمْـنــا مَعـاذاَ
فاغتدى القلبُ في نواهُمُ جُذاذاَ   حيثُ بِتْنَـا شتَّى المغـاني ومـاذا
أنكَــر الـدَّهــرُ من يـدٍ أَســدَاهــا

كم جَنيتُم يـومَ الـرَّحيـل ذُنـوبـاً   كم جَلبتُم لِكـلِّ صبّ خُـطوبــاً
كم تَـركْتُم في كُلِّ قلبٍ شُعـوبـاً   يــا أُخــلّايَ لــو رَعَيْتُم قُلوبــاً
جَـدَّ جَـدُّ الهـوى بهـا فــابتلاهــا

طـالمـا أُضـرمَت بنـارِ هَــواكُمْ   وَبَـراهـا يَــومَ التَّنـائي جَفــاكُم
فـوَهت بـالأسى لـطولِ عَنـاكُمْ   أَنْصِفُـوها من جَـورِ يَوم نَــوَاكُم
حَسبُ تِلك الأكبـاد جـورُ جَفـاهـا

كم سَقَتْنَـا خَمرَ الصَّبـابَةِ صِـرفا   كـلُّ عَذراءَ فَـاقتِ الظَّبيَ طَـرْفـا
قُـل لمن رامَ من أميمـة عَـطفـا   عَمـرُكَ الله هـل تنشَّقت عَــرْفـا
من دُمى الحيّ أوردت لُـمــاهــا

أفهـل لـوعَـةً لـكَ الحُـبُّ أنهى ... أم تعـرَّفت للصَّبـابـةِ كُـنهـا
أم سـألتَ الغيـد الأَوانِس عنهـا ... أم لَمَحْتَ القُباب أم شُمت منها
تلكُم الْـوَمضَـةَ التي شُمنـاهـا

رَحَلُوا والـزَّمـانُ لـو لم يَخُنْهُمْ ... عن رُبُـوع زَهت بهم لم يُبِنْهمْ
ونأَوْا لا تَرى سِوى النُّؤيِ منهمْ ... خبّرينا يا سَرحة الـوادِ عنهمْ
أين ألقت تلك الضُّعونُ عصَاهـا

أيُّهـا القـومُ إنْ حَفِـظْتُم ذِمـاري ... وعَـرفتُم للجـارِ حقَّ الـجِـوارِ
فـاطلبـوا عنـد غِيـدِهم أوتـاري ... يـا لَقـومي مـا دُون رامَـةَ ثـاري
فـاسألـوا عن دَمِي المُـرَاقِ دمـاهـا

أَسـرِعُـوا للتِّـراتِ بعـد أنـاةِ ... يـا سُـراةَ الـوَغى وأيَّ سُـراةِ
وخُـذوا الثَّـأرَ من جُفـونِ فَتـاةِ ... إنَّ حتف الـوَرَى بعيـنِ مَهـاةِ
لا تَـخـالُ الحِمـامَ إلاّ أخـاهـا

إنْ أطـالت بـالهجـر فيَّ جَفـانـا ... فـالهوى للكـرام يـولي الْهَـوانـا
وإنِ ازدَادَ في هـواهـا جَـوانـا ... مـا على مثلِهـا يُـذمُّ هـوانـا
وعـلى مـثـلِنـا يُـذمُّ قِـلاهـا

خَـلِّيـاني وزَفـرَتِـي وحنيـنـي ... واتْـرُكـانِـي بِلوعَـتِي وأنيـنِـي
كِدْتُ أَقضي بِالعذْل فِي كلِّ حين ... يـا خَـلِيـليَّ والخَـلاعـةُ ديني
فـاعـذُرا أهـلهـا ولا تَعـذِّلاهـا

كم قُلُوبٍ أوهى الغَرام وأزعـجْ ... وبهـا أوقـدَ الضَّـرامَ وأَجَّـجْ
أفهـل من مَضايق الصدِّ مَنهـجْ ... إنَّ تلك القلُوب أقلقهـا الـوجْـ
ـدُ وأَدْمَى تلك العيـونَ بُـكـاهـا

كم أسالَت لها الصَّبابةُ طَرْفا ولهـا أرغَمت يـدُ البُعـد أنفـا
فـرُوَيْـداً يـا لائِمِيَّ وعـطفـا لا تلوما مَنْ سِيمَ في الحُبِّ خَسْفا
إنّـمـا آفـةُ الـقـلُوبِ هـواهـا

أبـدَلَ الهجـرُ حُلوَ عيشي بمُـرٍّ وسَقاني على النوى كـأسَ صبرِ
لا تسلني عن صَفـوِ أنكـدِ دهـرِ أيُّ عيشٍ لعـاشقٍ ذاتَ هجـرِ
لا يـزالُ الحمـامُ دون حِمـاهـا

بي عهودٌ كانت من الخُلد رَوضاَ وبهـا العيشُ كان بـالْغَـدِ غضـاَ
وزَمـانٌ فيـه لـو العيش يُقضى أيُّ عَيشٍ للسَّـالـفيـن تقـضًّى
كـان حُلوَ المـذاقِ لـولا نَـواهـا

فـالـلَّيـالِي وضـمنُهـا آمـالُ تـارةً مِنـحَـةٌ وأُخـرى وَبـالُ
وبـأُخـرى قُبـحٌ وأُخـرى جَمـالُ هِيَ طَـوراً هجرٌ وطَـوراً وِصـالُ
مـا أمرَّ الـدُّنيـا ومـا أحـلاهـا

إن رمَتْنَـا بَغْضـاءُ دهـرٍ بَغِيضٍ بِبعـادٍ عن ذاتِ طَرْفٍ غَضِيضٍ
فَغَـدَونـا منهـا كجَفنِ مـريضٍ كم ليـالٍ مـرّت بلميـاء بيضٍ
كـان يُجنى النعيمُ من مُجتنـاهـا

هي أجـرَت دمعي ولم تدرِ أنّي جـامـدُ الـدَّمـع والتَّثبُّتُ فَنِّي
أنا طودٌ رَسَا سَلِ الْخَـطْبَ عَنِّي كان أنكى الخطوب لم يُبك منّي
مُـقـلةً لـكـنِ الـهـوى أبـكـاهـا

كنت لم أصـغِ للغَرامِ بسمْعِي وفُؤادي لم يُـرْمَ منـه بصَـدعِ

يــا أَخــا الحبّ والتجلُّد طبعي لـو تـأمَّلتَ في مجــامِـدِ دَمعي

لَـتعـجَّـبـت مـن أسـىً أجـراهــا

أنا غوثُ العُلى بي المجدُ قد قَرْ أنـا طَودُ الـوغى إذا طودُهـا فَـرْ

أنا قطبُ الهَيجاءِ فِي مُلتقى الكَرْ أنـا سيـارةُ الكـواكب في الحَـرْ

بِ فـأنَّـى يَعْــدُو عَـلَيَّ سُهــاهــا

كم صُــروفٍ للنـائِبــاتِ شِـدادِ رائِـحــاتٍ على الأنــام غَــوادِ

ولَكَم سُــوِّمَت كخيــلٍ طِــرَادِ كــلَّ يـومٍ للحــادِثـاتِ عَــوادِ

ليسَ يقـوى رَضْـوى على مُلتقـاهـا

كم خُــطُوبٍ للدَّهــر لا تتجلَّى وذُنُوبٍ عن نهجها النُّسـك ضَلاَّ

إنْ عَدَتْ فضلَ من دَنَا فتـدلَّى كيـف يُـرجى الخلاص منهُنّ إلاَّ

بــذِمـامٍ من سيِّــد الـرســل طَــه

أفهـل طـائِــلُ المـديـحِ موفٍّ مَدْحَ مَن عنه قَـاصِرٌ كـلُّ وصفِ

مَلجَــأ الخــاطئينَ أمنــعُ كهفِ معقِـل الخائفينَ من كـلِّ خوفِ

أوفــرُ الــعُــرب ذِمَّــةً أوفــاهــا

ليس يعـدو فعلَ الـورى ناظـريهِ مُفــردُ جَمـعُهــا عِيــالٌ عليــهِ

عَـلَمٌ عَــوْدُ كُــلِّ عـلْمٍ إلـيــهِ مَصــدرُ العِلم ليس إلاَّ لَــديــهِ

خبــرُ الكــائنــاتِ من مُبتــداهــا

كَـلَّ عن كُنـهِ ذاتِــهِ كـلُّ نُبــلِ وتَحـامَى عن دَرْكِـهِ كُـلُّ عَقْـلِ

مَلَكَت كَفُّــهُ الــوجــودَ ببــذلِ مَلِكٌ يحتـوي مَمَـالِــكَ فَضـلِ

غيــر محـدودةٍ جهــاتُ عُــلاهــا

رُبَّ جُـودٍ أغنى الـوجـودَ جـداهُ وَعـلـيٌّ طـالتِ السَّمـاءَ سَمـاهُ
إنّمـا كـوثَـرُ الجِنـانِ يـداهُ لـو أُعيـرت من سلسبيـلٍ نَـداهُ
كُـرةُ النّـارِ لاستحـالت ميـاهـا
إن عَـفْـوَ الإلّـه عـنـهُ روتْـهُ مكـرمـاتٌ للفضـل طُـرّاً حَـوَتْـهُ
وعـذابَ الجحيم عنّـا طـوتـهُ هو ظِلُّ الله الذي لو أُوتْهُ
أهـلُ وادي جـهنّـمٍ لـحَمَـاهـا
جَـلَّ ربٌّ أبـانَ مـا لم يُبِنْـهُ بِنَبِيٍّ فيضُ الهُـدى فـاضَ عَنـهُ
فهـو والرُّسـلُ بالعُلى لم يَزِنْهُ عَـلَمٌ تـلحَظُ الـعـوالِـمُ مـنـهُ
خيـرَ مَن حَـلَّ أَرضَهـا وسَمـاهـا
مَلِكٌ دونَ فخـرِهِ كـلُّ فـخـرِ أمـرُهُ نـافـذٌ بحشـرٍ ونَـشـرِ
كم بنهيٍ منهُ انتهى صَرفُ دهرِ ذاكَ ذُو إمـرةٍ عـلى كـلِّ أمـرِ
رُتـبَـةٌ لـيس غـيـرُهُ يُـؤتـاهـا
ذَاكَ أدنى الـورى من الله قُـربـا ذاك أسمى من السَّمـاواتِ كعبا
ذاك ليثٌ لكنّـه الغيثُ سَكْبـا ذاك أسخى يـداً وأشجـعُ قلبـا
وكـذا أشجـعُ الـورى أسخـاهـا
فَـلَكُ أنـجـمُ الـعُـلى تـتـحـلّى فيـهِ والكـونُ في سَنـاهُ تجلّى
مُبتـدَى العلم منتهـاهُ مَحـلاً مـا تنـاهَت عَـوالمُ العِـلم إلاّ
وإلـى ذاتِ أحـمـدٍ مُـنـتـهـاهـا
خـاتَمُ الرُّسْل علمُها فُضَّ عَنـهُ مبـدأُ الفيضِ فضلُها من لَـدُنْـهُ
فـإذا الـكـونُ كُلُّهُ لـم يَـزِنـهُ أيُّ خَـلقٍ للهِ أعـظمُ مـنـهُ

وهُـوَ الغَـايَـةُ التي استقصـاهـا

إن ربّـاً أولاهُ أعـظمَ مَـنٍّ   وحَبـاهُ بكـلِّ حُسنى وحُسـنِ
هـو مـذ شـاءَ خَلْقَ إنسٍ وجِنٍّ   قَلَّبَ الخـافقين ظهـراً لبَطنِ

فـرأى ذاتَ أحمـدٍ فـاجتبـاهـا

لم يَسُمْ مثل فضلِهِ الكونُ سَوما   لا ولا حامَ حولـهُ الرُّسـلُ حَوْمـا
من يمينِ الأقـدارِ كم فكَّ قـوما   مَن تَـرى مثلهُ إذا شـاء يَـومـا

محـوَ مكتوبـةِ القضـاءِ مَحـاهـا

موضعُ السرِّ بالهُدى خيرُ مـرسلْ   أُلهمَ الـوحيَ قبـل أن يتنـزَّلْ
وحـوى كـلَّ مُجمـلٍ ومُفصَّلْ   ذاتُ علمٍ بكـلِّ شيء كـأن الْـ

ـلَوح مـا أثـبتـتـهُ إلاَّ يَـداهـا

ضُمِّنَتْ منهُ طيبـةٌ خيـرَ رَمسٍ   مُستجـاراً أمسى إلى كـلِّ نفسٍ
إن بـدراً بـه سمـا كـلَّ شمسٍ   لستُ أنسى لـه منـازِلَ قـدسٍ

قـد بَنـاهـا التُّقى فـأعـلى بِنـاهـا

عـرشُهـا كم أظـلَّ من مَلكـوتِ   جَلَّل العـرشَ منـه في جبـروتِ
وحـوى فِتيـةً كِـرَامَ نُعـوتِ   ورجـالاً أعـزَّةً فـي بُـيـوتِ

أَذِنَ اللهُ أن يُـعَـزَّ حِـمـاهـا

فـازَ تـاللهِ مَن بهمْ قـد تـولَّى   أيَّ فـوزٍ ومِن عِـداهُم تـخلَّى
هُمْ ونـورٌ في الطُّور منهم تجلَّى   سـادةٌ لا تُـريـدُ إلا رِضـا الـ

ـلّهِ كمـا لا يُـريـدُ إلاّ رِضـاهـا

قـد بـراهُم مُكـوِّنُ الأكـوانِ   زيـنـةً لـلوُجُـودِ والإمـكـانِ

جَلَّ ربٌّ نائي المدى مُتداني خصَّها من كمالهِ بالمعاني
وبأعلى أسمائِهِ سَمَّاها
بهمُ المُعجزاتُ زادت بُرُوزا بعدما كان كنزُها مكنوزا
فئةٌ للغيوبِ حلَّت رُمُوزا لم يكونوا للعرشِ إلاَّ كنوزا
خافياتٍ سُبحان من أبداها
هم كُنوزُ العلمِ الإلَهيِّ عُجْ بِي لِحِماهُم ففيهِ تَنفيسُ كَرْبِي
هُمْ وِعاءُ الأسرارِ للغيبِ تُخْبِي كم لهم ألْسنٌ عن الله تُنبي
هي أقلامُ حكمةٍ قد بَراها
هُم ليوثٌ للحتف بالرُّعب تُردي وغُيوثٌ راحاتُها الدّهر تُندي
هم عِقولٌ تهدي الأنامَ لرُشدِ وهُمُ الأعين الصحيحات تَهدي
كلَّ عينٍ مكفوفةٍ عَيناها
هم نُجومُ للنَّجم فيها اهتداءُ وشموسٌ للشمس فيها اقتداءُ
كم بأنبائِها أتت أنبياءُ عُلماءُ أئمَّةٌ حُكماءُ
يَهتدي النجمُ باتِّباع هُداها
أنجمُ الفضلِ أشرقت في سَماهُمْ وبَدَت شمسهُ بأُفقِ عُلاهُمْ
واحتمى العِلمُ والعُلى بِحِماهُمْ قادةٌ عِلمهمُ ورأي حِجاهُمْ
مسمعا كلّ حكمةٍ مَنظِراها
أنا في جنَّةٍ تحصَّنت في الذُّرْ بِوِلائِي لآلِ طَهَ وَحَيدرْ
فإذا الكونُ كلُّه جاش بالشَّرْ ما أُبالِي ولو أُهيلت عَلَيَّ الأرْ
ضُ والسماواتُ بعد نَيْلِ وِلاَها

هُم شُموسٌ بَنَت على النَّجم مَغنى وبُدورٌ جَلت عن الدّهر دَجنا
لا تُباري سَنىً وفضلاً ومنّا مَن يُباريهمُ وفي الشمس معنى
مُجهدٌ مُتعبٌ لمن باراها

مَلكوا الكائناتِ عَرضاً وطُولا مثّلوا في الثَّرى لكي لا تزُولا
سَبقوا الرُّسل أجهدوها وُصُولا وَرِثوا من محمدٍ سَبْقَ أُولا
ها وَحازوا ما لم تَحُزْ أُخْرَاها

صاغَهُ اللهُ رحمَةً للتفضُّلْ وحُساماً دَمُ الضَّلالِ به طُلْ
خاتَم الرُّسلِ ما تشاءُ به قُلْ آيةُ الله حِكمةُ اللهِ سيفُ الْـ
ـلَّهِ والرَّحمةُ التي أهداها

مُرسَلٌ مُعجزاتُهُ خالداتُ نيِّراتُ السما لها حاسداتُ
وسماواتُها له ساجداتُ أرْيَحِيٌّ له العُلى شاهداتُ
إنّ من نَعل أخمَصيهِ عُلاها

قمرٌ مُشرقٌ بأُفقِ عَلاءِ في سماءِ الهُدى بأبهى سَناءِ
قد سَمَا كل نيِّرٍ بضياءِ نَيِّرُ الشَّكلِ دائرٌ في سماءِ
بالأعاجيبِ تستديرُ رَحاها

هُوَ رُوحٌ للعِلم والعلمُ جسمُ وهو مَبْدئٌ لكلِّ فضلٍ وختمُ
رَشحهُ الغيثُ وهو للفيض يَمُّ فاضَ للخلقِ منهُ عِلمٌ وحِلمُ
أخذت عنهُما العقولُ نُهاها

فَلَكٌ قد سما على العرش مرسى واستطارت بهِ النُّبوّةُ أُنسا
فأجارتْ بِهِ الولايةُ نفسا واستعارت منهُ الرِّسالةُ شمسا

لم يَــزل مُشـرِقـاً بهــا فَلَكــاهــا

غُرِسَ الحُبُّ فِي رِياضِ اختبارِ من مُحـبِّ حبيبِ أكــرمِ بــارِ

فَجنى منــه قُــربَ أيِّ جــوارِ حَـيٌّ ذاكَ المليـحَ أيَّ ثِـمَــارِ

مــن حُبيبيَّــة الإلـــهِ اجتـنــاهــا

جاء بالمعجزاتِ في أفعالِ أيّدتها آياتُهُ بمقالِ

وصفـاتٍ قد أعـذَرت كلَّ غـالِ ما عَسى أن أقولَ في ذِي مَعالِ

عِــلَّةُ الــكــونِ كــلُّه إحــداهــا

غُمِـرَت في نَـداهُ سَبــعُ شِـدادِ ومن الأرضِ مثلُهــا في عــدادِ

فجميـعُ الأكـوانِ ضَيفُ جَــوادِ كـم على هــذِهِ لــه مــن أيــادِ

ليستِ الشمسُ غيــر نـارِ قِــراهــا

كم لِجَـدْواهُ من عَميم امتنــانِ في الــورى عَمَّ كـلَّ نــاءٍ ودانِ

فــالـورى ضَيفُــهُ بكـلِّ مكــانِ ولــهُ فِي غــدٍ مَضيفُ جِنــانِ

لم يَحُــلْ حُسنُهــا ولا حُسنــاهــا

كــلُّ شـــيءٍ بـجــودِهِ أغــنــاهُ إذْ أفــاضت نَـدىً عليــهِ يَــداهُ

فــالغِنَى لم يَــزَل فقيــرَ نَــداهُ كيف عنــهُ الغِنَى بجـودِ سِــواه

وهــو من صُـورة السمــاح يَـداهــا

بـنَـــداهُ الأكـــوانُ مُـنغـمــراتُ والــوُجـوداتُ كلُّهــا خَضِـراتُ

فــالغــوادي إليــه مـفتـقِـراتُ أينَ من مَكـرُمـاتِــهِ مُعصـراتُ

دُونَ أدنـــى نَـــوالِــهِ أنـــداهــا

كــان هذا المــلا خَـلاءً وفضــلا من وُجُــودِ فعادَ بــالجـودِ وَصــلا

ومن العِلم حيث قد كان مَحْلا   مَلأتْ كفُّهُ العَوالِمَ فَضلا

فلِهذا استحالَ وجهُ خَلاَها

باسمهِ يَرزُقُ الإلَهُ ويُثري   وبه يُذهِبُ السِّقامَ ويُبْري

سَيفُ حَقٍّ للحقّ مشهورُ ذكرِ   بأبي الصارمُ الإلَهيُّ يَبري

عُنُقَ الأزمةِ الشديد بُرَاها

كم أراشتْ منهُ يَدُ الرُّشدِ سَهما   أوسَعتْ فِيه للضَّلالة كَلْما

مُذْ رَأتْهُ أمضى من السيفِ عَزْما   جاوَرَتْهُ طَريدةُ الدِّينِ علما

أنَّهُ ليثُها الذي يَرعاها

غُرُّ آياتِ فضلِهِ مُحرَزاتُ   كَسِواها لو أنَّها مُوجزاتُ

وَلَكَمْ وهي أنجُمٌ بارِزاتُ   نطقَتْ يَومَ حَملِهِ مُعجِزاتُ

قصُرَ الوهمُ عن بُلوغِ مَداها

جاءت الرُّسلُ بالبِشارةِ دهرا   قَبلَهُ فيهِ والثرى فاحَ عِطْرا

ومُذِ الكونُ عَمَّهُ اللهُ بُشرى   بَشَّرتْ أُمَّهُ بِهِ الرُّسلُ طُرّا

طَرَباً باسمِهِ فيا بُشراهَا

إنْ أتتْ دَورةٌ زَهَتْ بشمولِ   للمزايا وأطْرَبَتْ كَشَمولِ[1]

لم تَزَل غِبَّ سُرعةٍ أو لطولِ   تلتقي كلُّ دَورةٍ برَسُولِ

أيُّ فخرٍ للرُّسْلِ فِي مُلتقاها

صدَّق الرُّسلُ منه فعلاً وقولا   وَهْوَ أحْيَا آثارَهُمْ منهُ طولا

---

(١) الشَمول ـ بفتح الشين ـ ريح الشَمال والخمر أو الباردة منها .

فَنَمـا الفخـرُ فيـه حَـولاً فحَـولا   كيف لـم يفخـرُوا بـدولـةِ مَـوْلى

فَخُـرَ الـذِّكـرُ بـاسمِـهِ وَتَبـاهى

حـازَ فضـلاً أدنـاهُ لا يتـأتّى   لأُولي العَزم أين منه ابنُ مَتَّى[1]

والـذي خَصَّـهُ بـأشيـاءَ شتَّى   لم يكـن أكـرم النَّبيِّـينَ حتّى

عَـلمَ اللهُ أنّـه أتـقـاهـا

كم بتقـوىً سمَّى النبيِّينَ ذِكْـرا   وشَـأى العـالَمينَ بـالعلم قـدرا

فَلِعَلْيـاهُ يَخضَـعُ الـدَّهـرُ قَسـرا   ولِتَقـوَاهُ تَنثني الـرُّسـلُ حَسـرى

حيثُ لا تستـطيـعُ نيـلَ ذُراهـا

مُـرسلٌ كـلُّ مـرسَـلٍ فيه بشَّـرْ   وبـه بـارئُ البـريَّـةِ أَخبـرْ

وَلَـكَم حيـن خَـلْقِ آدمَ والـذَّر   نَـوَّهت باسمـهِ السماواتُ والأَرْ

ضُ كمـا نـوَّهت بصُبـحٍ ذُكـاهـا

هـو نـورٌ منـه الحِجى وَلَـدُنْـهُ   كـلُّ نـور وللسَّنى هـو كُنـهُ

روتِ الْكُتْبُ والنـبيُّـون عـنـهُ   وبَـدا في صفائحُ الصُّحف منهُ

بـدرُ إقبالِهـا وشمسُ ضُحـاهـا

صـانَ سـرّاً وغيـرُهُ لم يَصُنْـهُ   فيـهِ دانَ الإلَـه مَن لم يَـدُنْـهُ

فغـدَتْ تـأخُـذ الفـواضـلَ منـهُ   وغـدتْ تَنشـرُ الفضـائـلَ عَنـهُ

كـلُّ قـومٍ على اختـلافِ لُغـاهـا

شَكَّـلَ الرُّسـل شخصه تشكيـلا   لـلبـرايـا ووَصفَـهُ تَـمثيـلا

---

(١) أولـو العزم هم : نـوح وإبراهيم ومـوسى وعيسى ومحمـد عليهم أفضـل الصـلاة والسلام .

فَتَرَجَّوهُ للضلالِ مُزيلا وتمنَّوهُ بُكرةً وأصيلا

كلُّ نفسٍ تَودُّ وَشْكَ مُناها

ومُذِ الحقُّ فيه أشرقَ مُلْكُهْ وبهِ الدينُ قد تنظَّم سِلكُهْ

كلُّ شيءٍ قد انجلى فيه شَكُّهْ وتنادت به فلاسفةُ الكُهْـ

ـهَّانِ حتى وعَى الأصمُّ نِدَاها

ذاتُ قُدسٍ ليس الثنا يكفيها لا ولا العالَمونُ مدحاً تَفيها

بل ولا الأنبياءُ مع مَنْ يَليها وصَفُوا ذاتَهُ بما كان فيها

من صِفاتٍ كَمَن رأى مَرْآها

بسناهُ حوالِكُ الدَّهْرِ حالتْ وبه ظُلْمَةُ الضَّلالةِ زَالتْ

ربُّ فيضٍ منه العوالمُ نالتْ طربت لاسمِه الثَّرى فاستطالتْ

فوق عَلويَّةِ السما سُفلاها

أسفرَ الحقُّ إذ تحقَّق ظَنُّ لظُهورٍ منه أَتَى فيه إذنُ

وَحبى الكونَ منه فضلٌ ومَنٌّ ثمَّ أثنتْ عليه إنسٌ وجِنُ

وعلى مثلِه يحقُّ ثَناها

بَتَّ فيه الضلال مولاه بَتّا بعدما كان نابِىءَ الْعِرْق ثَبْتا[1]

فالورى قبلهُ وقد زِدن مقتا لم يزالوا في مركز الجهلِ حتّى

بَعث الله للورى أزكاها

كان إذ لم يُكوِّنِ اللهُ نفسا ولهذي الأكوان لم ترَ همسا

---

(١) الناتىء: المنتفخ.

وَصَباحُ الوجودِ قد كان ممسى فأتى كاملَ الطَّبيعة شمسا
تستمدُّ الشموسُ منه سَناها

فأَضاءتْ كواكبٌ منه زُهْرُ وهيَ اثْنانِ كالبروج وعَشْرُ
فجلا ليلَ مكَّةٍ منه بدرُ وإلى فارسٍ سَرى منه سِرٌّ
فاستحالَت نيرانُها أمْواها

ولقد حانَ هُلْكُها فيه وقتا حيثُ ظَلَّت وزادها الغيُّ بُهتا
ولَكَم بَتَّ عزَّها البغيُ بَتا وأحاطت بها البوائقُ حتى
غاضَ سِلسالُها وفاضَ ظِماها

تلك آياتُهُ مدَى الدهر تَترى طبَّقت جُملةَ البسيطةِ مَسرى
نَحَتِ الشامَ والعراقَ ومِصْرا وأقامت في سفح إيوانِ كِسْرَى
ثَلْمةً ليس يَلتقي طرفاها

كم أبانت عن الإلٰهِ عُلوما وأطاشت من الضلالِ حُلوما
ورَمت مارِداً فأصمتْ مَشوما وتهاوَت زُهر النُّجوم رُجُوما
فانزوى ماردُ الضَّلالِ وتاها

فاغتدَى كلُّ ذي ضلالٍ بِشِعْبِ والشياطينُ قد توارَت بحُجبِ
كلَّما أُرصدت لرجم بشُهْبِ رُمِيتْ منهم القُلُوب برُعبِ
دَكَّ تلك الجبالَ من مَرساها

نيِّرٌ قد أضاءَ في كل قُطرِ بسنىً لا يَغيبُ في كلِّ عصرِ
وبهِ زَال كلُّ غيٍّ وكُفرِ وانمحت ظُلمةُ الضَّلال ببدرِ
كان ميلادُهُ قِرانَ انمِحَاها

وَمَلِيكُ الرَّشادِ ساد بحكمٍ وفُؤادُ الأَعداءِ خِيطَ بسهمٍ
وارتَمت أَرْبُعُ الضلالِ بِهدمٍ فكأنَّ الإشراكَ آثارُ رسمٍ
غالها حادِثُ الْبِلَى فمحاها

وتلافى الإلَه مِثلاً بِمثلٍ عِزُّ رُشدٍ بذُلِّ غيٍّ وجهلِ
فكأنَّ الصُّلبانَ أوصالُ نَبْلٍ وكأنَّ الأوثانَ أعجازُ نَخلٍ
عاصِفُ الرِّيحِ هزَّها فَرَماها

ملأَ الأرضَ والسَّماواتِ نورا وعن الدينِ كم جَلاَ دَيجورا
فَبَسيطُ الثَّرى يَميدُ حُبُورا ونواحي الدُّنيا تَمِيسُ سُرورا
كغُصونٍ مَرُّ النسيمِ تَنَاها

كم جَموحٍ قد عاد طَوعَ يَدَيهِ ورميمٍ في الرَّمس فاهَ لَدَيهِ
وسلامٍ أهدى السلامَ إليهِ سيِّدٌ سلَّمَ الغزالُ عليهِ
والجماداتُ أفصحتْ بِنِدَاها

عرشُ مجدٍ عَلياؤُهُ قد تسنَّت ذِروةَ العِلم وَهْيَ للعِلم سَنَّتْ
باسمه خُرَّدُ الفضائِلِ غَنَّت وإلى نشرهِ القلائصُ حَنَّتْ[1]
راقصاتٍ ورجَّعت بِرُغاها[2]

مُعجِزاتٌ شأوَ المعاجزِ فاقتْ أحيتِ الرُّشد والضَّلالَ أماتتْ
كيف تَفنى إذا المعاجزُ مَاتتْ وإلى طِبِّهِ الإلَهيِّ باتتْ

(١) الخرد جمع خريدة وهي : البكر التي لم تمس قط .
(٢) القلائص جمع قنوص ـ بفتح القاف ـ وهي : من الإبل الشابة منها والباقية على السير والطويلة القوائم .

عِللُ الدَّهرِ تشتكي بلواها

فاللَّيالِي لم تَشْكُ إلاّ لديهِ حيثُ قد عوَّلتْ بضُرٍّ عليهِ
مَلِكٌ والزَّمانُ طَوعُ يديهِ كيف لا تشتكي اللّيالي إليهِ
ضُرَّها وهو مُنتهى شكواها

نورُ حقٍّ جَلاَ عن الحقِّ غَيناً بسنى لم يجد لهُ الدَّهرُ بَينا
كم به وفَّت الرسالةُ دَينا وبهِ قرَّت الغَزالةُ عينا
بعدما ضَلَّ في الرُّبى خِشفاها

حَرَمُ العزِّ والْعُلَى مَعناهُ توَّجَ السبعةَ الشِّداد عُلاهُ
وهو عرشٌ للكبرياء بناه مَنْ لِشَمس الضُّحى بلثمِ ثَراهُ
فتكونُ التي أصابت مُناها

مِن سَناهُ صُبْحُ الهُدى قد تنفَّسْ بل ومن جُودِهِ الوجُود تأسّسْ
ممكنٌ كلُّ مُمكنٍ فيه يُحْرَسْ جاءَ من واجبِ الوجودِ بما يَسْـ[1]
ـتصغرُ المُمْكِناتِ أن يغشاها

شادَ بيتاً عَلاه بالعرشِ مَتّا بيد بتَّتِ الحوادثَ بتّا[2]
كم لِعَلْياهُ مَعْ مكارمَ شَتّى سُؤدَدٌ قارَعَ الكواكبَ حتّى
جاوزت نيِّراتُهُ جَوْزاها

عَمَّ نفعاً حُسامُهُ ويداهُ تلك تُحيي وذا يُميتُ شباهُ

(١) الوجود (الواجب) في اصطلاح المتكلّمين: هو الذي لا يقبل العدم و(الممكن) هو الذي يقبل العدم، والواجب هو الله تعالى، وجميع مخلوقاته ممكنات.
(٢) متَّ الشيء متّاً: مدّه

فهـــو ذُو حـــالتين مهمـــا تـــراهُ بـــأْسُـــهُ مُـهلِكٌ وأدنـــى نـــداهُ
مُنقــذُ الهــالكين مــن بــأســاهــا
ذو نوالٍ على العُلى حام حومـا ومعَـالٍ مـا خـالـطت قطُّ لـومـا
رَبُّ فيض كفى ومـا كفَّ يـومـا كم سَخـا مُنعِمـا فـأعتق قـومـا
وكـــذا أشـرفُ الـطبـاع سَخـاهـا
هـــو بـحـــرٌ وغيـــرُهُ شِبـــهُ آلٍ ليس يُروي من الظمـا ببلالٍ [1]
وهـــو بـــالغيثِ فيضـــهُ مُتـــوالٍ كـم نـــوالٍ لـــه عقيبَ نـــوالٍ
كسيُــولٍ جَرَتْ إلى بَــطحــاهــا
مَلَكَ الــدَّهــر كم بحــلٍّ ورَبطِ نَـظَمَ الكـونَ نـظمَ عِقـدٍ بسمطِ
إن بقبضٍ ساسَ الوجُـودَ وبَسطِ إنّمـا الكــائنــاتُ نُقــطةُ خَطٍّ
بيــدَيْــهِ نـعيـمُـهـا وشَـقـاهـا
من شَـذاهُ أَحيـا البـريَّـةَ ضَـــوعُ وأمــاتَ الـرَّدى لمــاضيـه روعُ
ذو هِبات من فيضها الكون نوعُ كلمــا دُون عــالم اللَّوح طَــوعُ
ليــدَي فضلِهِ الــذي لا يُضـاهـى
ذو أيادٍ أضحى لها الكونُ ضَيفا وظُبــاً يَقــظةً تــروع وطَـيفـا
كم لَـهُ كـالأفــلاكِ كمّاً وكَيفـا هِـمـمٌ قُـلِّدت مـن اللهِ سيـفـا
مــا عَصتــهُ الصِّعــابُ إلاَّ بَـراهــا
ذو مَعـــالٍ بـه العُلومُ اطمــأنَّتْ ونَـــوالٍ جـدواهُ بـــالكـونِ منَّتْ

---

(١) الآ: السَّراب.

كم لَـهُ والأقـدارُ فيـه استكنَّتْ   عَـزمـاتٌ مُحيلةٌ لـو تمـنَّتْ

مُستحيـلاً من المُنى مـا عَصـاهـا

ذو صفـاتٍ شَعْبَ المكارم لَمَّت   وهِبـاتٍ بـالمجـدِ نـاءَت وزَمَّت

قِسْ عليهـا ودعْ منـاقب جَمَّت   لا تسـلْ عن مكارمٍ منـه عَمَّتْ

تلك كـانت يـداً على مَا سـواهـا

لم يزل للأكـوانِ يُولي التفضُّلْ   ولكـلِّ الوجـودِ بالجـودِ يشمُـلْ

صِيغ من جوهر الندى والتـطوُّلْ   جـوهـرٌ تعلمُ الْفِلِزَّاتُ مِنْ كُلْـ

ـلِ القضـايـا بـأنّـه كِيمِيَـاهـا

جـرَّدَ اللهُ لـلمعـالـي ذواتـا   منـهُ عـادت لـوصفِـهِ مـرآة

وَهْـوَ للحقِّ إذ غـدا مِشكـاة   حـازَ من جوهـرِ التقـدُّسِ ذاتـا

تـاهـتِ الأنبيـاءُ في مـعـنـاهـا

إنَّ آيـاتِـهِ الـعـظيمـةَ ذكـرا   بعضُهـا أعجـزَ النبيّيـن طُـرّا

دَعْ مزاياً أبتْ مدى الدهر حصرا   لا تُجِلْ في صفات أحمـدَ فِكْرا

فَـهِيَ الـصُّـورةُ التي لن تَـراهـا

ذاتُــهُ آيـةٌ مـن اللهِ كُـبـرى   شمخت بالعُلى على العرش كِبْرا

وكَستْ جملةَ العـوالم فـخـرا   تلك نفسٌ عـزَّت على اللهِ قدرا

فـارتضـاهـا لنفسـه واصـطفـاهـا

وحَّـدَ اللهُ فـيـه كـلَّ إلٰـهـي   فاغتدى خافيَ الحقِّ فيه شِفاهِي

وجَـلا الغيَّ منـهُ نـورٌ سمـاوي   صِيـغ للذِّكـر وحـدَه والإلهيـ

ـيّون كانت في الـذّكر عنـه شِفاهـا

إنّ مَبْدَا توحيدها كان منهُ والعقولُ اهتداؤها من لَدنهُ
فإذا من عُلاهُ أَجْهِلَ كُنْهُ سَلْ ذواتِ النمير تُخبرك عنهُ
إنَّ حال التوحيدِ منه ابْتِدَاها

جَلَّ رَبٌّ بَرٌّ بَراهُ فعلَّم من عُلومِ الغيبِ التي ليس تُعْلَم
فهو فيما يُوحى إليه ويُلْهَم حاز قُدسيَّة العُلومِ وإن لم
يُؤتَها أحمدُ فَمَنْ يؤتاها

أتحفَ البحر جُوده باللآلِي والغَوادي بفيضِه الْمُتَوالي
وأظلَّ العُلى بأعلى ظِلال عَلَمٌ أقسمَتْ جميعُ المعالي
أنّه ربُّها الذي ربَّاها

أدرك الخافياتِ منه بحِسٍّ طَوْعَ معناهُ كلُّ جهرٍ وهَمسِ
فهو بالعِلم لا بِظَنٍّ وحدسِ يُصدِرُ الأمر عن عزائِم قُدسِ
ليست السبعةُ السواري سِواها(١)

كم على عرشِ مجدهِ المتعالي أُفْقُ مجدٍ زَهَا بشُهب المعالي
ولَكَم طال من عُروشٍ طوالِ بطلٌ طاولَ الظُّبا والعوالي
بيدٍ لا يطولُها ما عَداها

غَمرتْ كفُّه العوالِمَ بِالدَّرْ حيث عمَّتْ بجودها البحرَ والْبَرْ
فَهْيَ مَجرى النَّدى ومن عالَم الذَّرْ أنمُلٌ عاشت السَّماواتُ والأرْ

---

(١) السبعة السواري: هي النجوم السيارة على الهيئة القديمة وهي: الزهرة، والمشتري، والمرّيخ، وعطارد، والشمس، والقمر، وزُحل.

ضُ ومَن فيهمـا عـلى جَـدواهـا

واستطالت بالفضل طُولاً وطَـولا   ونَـداهـا أنـالَ مَـنّـاً وأولـى

فَهْيَ أجـرى بكـلِّ سُؤلٍ وأولى   لا تُضِـع في سـوى أياديه سُؤلا

رُبَّـمـا أفـسـد الـمـدام إنـاهـا

بسنـاهُ ليـلُ الضَّـلالـةِ مَجلِي   وبـه عـارِضُ الهـدايـةِ مَـطْلي

إن عـدا وصفَ ذاتِهِ كـلُّ عقـل   عُـد إلى بعض وصفـهِ تلقَ كُلّـ

ـيَّاتِ مجدٍ لم تنحصـر أجـزاهـا

كم حَبـا الكائنـاتِ منه بفضـلٍ   وهـدَى نـورُه إلى خيـر سُبـلٍ

فعـرَفنا بـه الْهُـدى بعـد جهـلٍ   ذاكَ لـو لم تَلُح عـوالمُ عقـلٍ

منـه لم يَعـرف الـوجُـودُ الإلّهـا

وجهُهُ النيِّرُ الـذي في التفاضُـلْ   فضَّـل النيِّـرات عنـد التقـابُـلْ

فهـو بالضـوءِ والْعُلى والتـطاولْ   شمسُ قدسٍ بدت فحقَّ انشقاق الـ

ـبَـدْرِ نِـصْفَـينِ هـيبـةً لِبَهَـاهـا

أيُّ نُعْمى على النَّدى لم يُفْضِها   أيُّ طَخْياءَ عن هُدى لم يُغضها[1]

أيُّ ظَلمـاءَ للوغى لم يخُضهـا   أيُّ أرضيـةٍ عصت لم يُـرضهـا

أو سمـاويَّـةٍ سمَتْ مـا سَمـاهـا

مَن إلى غيـره العُلى ليس يأوي   مَن سوى فيض كفِّه ليس يُروي

مَن خُطى ساحـة الوجـودِ بخَطْو   من تسنَّى متْنَ البُـراق ليـطوي

---

(١) الطخياء من الليالي : المظلمة.

صُحْفَ أفـلاكهـا بـه فـطواهـا

زاد قُربـاً فـزادهُ اللهُ نـعتـا   في عُروجٍ حوى مـآثِر شتَّى
وبـهِ كم رَقَى عُليَّ عنـه شتَّى   وتـرقَّى لقـابُ قَـوْسَينِ حتَّى

شـاهـدَ القِبلة التي يـرضـاهـا

شـاقَ محبوبَـهُ المحبُّ فأعجَلْ   ولـهُ قـرَّبَ الـطَّريـقَ وذلَّـلْ
فـدعـاهُ إليـهِ والليـلُ ألـيَـلْ   حيثُ لا همسَ للعبـادِ كـأنَّ الـ

ـلّهَ مِنْ بعـد خـلقِهـا أفنـاهـا

وحبـاهُ ربُّ السَّمـا كُـلَّ فضـلٍ   حيثُ أدناهُ بعد فصـلٍ لوصـلٍ
وهـو لمَّـا رقى السَّمـاءَ بنعـلٍ   داسَ ذاك البسـاطَ منه بـرجـلٍ

نـيِّـراً كـلُّ سُـؤدَدٍ نـعـلاهـا

ذاتَ قُدسٍ في السرِّ لله جـدَّتْ   وعن الْحُجْبِ في سُراها تَعدَّت
ويَـدُ الفيضِ كم له قـد أمَـدَّت   وعـلى مَتـنـهِ يَـدُ اللهِ مُـدَّت

فـأفـاضـت عليـهِ روحُ نَـداهـا

فيهِ أسرى ليـلاً إلى خيرِ محفـلْ   هـو عن عـالم الشُهـودِ بمعـزِلْ
فأماطَ الحِجاب عن غيرِ ذِي ظِلْ   وأراهُ مـا لا يُـرى من كُنـوز الْـ

ـصَّمَـدانيَّـة الـتي أخـفـاهـا

أمَّ شـأواً جبـريـلُ عنـه تـوقَّفْ   ومُقاماً من لِلْعُلى ليس يُوصَفْ(١)
تـلك كـيـفيـةٌ وأنـى تُـكَـيَّـفْ   ليت شعري هل ارتقى ذروةَ الأفْـ

---

(١) أمّ شأواً: تقدم شوطاً. أو قصد غاية.

ـلاكِ أم طـأطـأتْ لــه فَـرقـاهـا

جـاز فيـهِ الأفـلاك حتى يُـريـهِ ربُّـهُ غَـيْبَـهُ الـذي يُـخـفـيـهِ
لـستُ أدري أخــطوةٌ تــطويــهِ أم لِسـرٍّ من مـالـك المُلك فيـهِ
دُون مـقــدار لـحــظة أنــهــاهــا

بــأيــاديــهِ عــمَّ أدنى وأقـصـى ولمـاضيـهِ دَانَ مَنْ كـان أعصى
وَهْوَ من راحةٍ بهـا الفيضُ خُصّا كم روى العسكر الذي ليس يُحصى
حيثُ حـرُّ الـرُّبى يُـذيب حصـاهـا

وتخـطَّى من الـمجـرَّةِ نـهـراً بِبُـراقٍ طـوى السَّمــاواتِ طُـرّاً
ولَـكم شـقَّ بــالإشــارةِ بــدراً وأعــاد الشمس المنيـرةَ قســراً
بعــدمــا عــاد ليلُهــا يغـشــاهــا

نالَ فضلاً على السماواتِ يَرْجحْ ومَعــالِ بهـا الأمــانيُّ تنجُحْ
وحُبِّي بــالَّـذِي لِعَليــاهُ يَصْلُحْ وأظلَّت عليــهِ من كِلَلِ الـسُّحْـ
ـب ظِــلالٌ وَقْــتُـه مــن رَمــضـاهــا

إن سرَّ الوجود يُلْفَى لديهِ وغِنَى الكائناتِ يُنْمى إليهِ
فـاعتمـادُ الـورى بيُسـرى عليـه واخضـرارُ العصـا بيُمنى يـديـهِ
كــاخضـرارِ الآمــال من يُسـراهــا

عَـوَّل الرُّسـلُ في الأمـورِ عليـهِ وأشــارت بـالمعجــزاتِ إليــهِ
ولَكَم سبَّح الحصى في يـديـهِ وكــلامُ الصخـر الأصمّ لــديـهِ
مُعجــزٌ بــالهــدى الإلهيّ فــاهــا

فيـهِ قَـرَّت بجسمها كـلُّ رُوحِ ورأى الكــونُ فيه كــلَّ فُتـوحِ

حيث غاض الطُّوفانُ بعد طُفوحٍ وسمَت بـاسمـهِ سفينـةُ نـوحٍ

فـاستقـرَّت بـه على مَجـراهـا

عنـهُ قـد نـابتِ النبيُّون سِـرّا ولـهـمْ فـيـهِ خـلَّد الله ذِكـرا

فبهِ الرُّسـلُ طالت العـرشَ كِبْرا وبـه نـالَ خُـلَّةَ اللهِ إبـرا

هيمُ والنـارَ بـاسمِـه أطفـاهـا

وبـه اللهُ صَيَّـرَ البحـرَ بـرّا وبه قـد مَحَـا لفرعـونَ إثـرا

وابنُ يَعقـوبَ فيـه ذلَّـلَ مِصـرا وبِسِـرٍّ سَرَى لـه في ابن عِمْـرا

نَ أطـاعتْ تلك اليمينُ عصـاهـا

وبـه اللهُ أسَّسَ التـأسيـسـا وبـه أسكنَ السَّمـا إدريـسـا

وبـه جـاءَ بـالمعـاجـزِ مُوسى وبـه سَخَّـر المقـابـر عيسى

فـأجـابـت نداءَهُ مَـوْتَـاهـا

نورُهُ في الأَصلابِ ما زال يلمعْ وبغيب الغيوب كالشمس يسطعْ

فَبـِهِ تسجـدُ الكِـرَام وتـركَـعْ وهو سِرُّ السُّجود في الملإ الأَعْـ

ـلَى ولـولاهُ لـم تُعَفِّـرْ جِبَـاهـا

هـو نورٌ ضـاءتْ بِـه ظُلَمُ الْجـوّ وَهْوَبدرٌ عن الهُدى كم جلى السَّو

وهُوَ شمسٌ كَسَا العوالمَ بالضـوّ وَهُـوَ الآيـةُ المحيـطةُ في الْكَـو

نِ ففي عـينِ كـلِّ شَـيءٍ تَـراهـا

كنزُ فضلٍ لمنزلِ الوحي مَنزلْ صدرُهُ الرحبُ وَهْوَ للغيب مَوئلْ

خـازِنُ العلم للعُلى خيرُ معقِلْ الفـريـدُ الَّذِي مفـاتيـحَ علم الْـ

ـواحِـدِ الْفَـردِ غيـرُهُ مـا حَـواهـا

من عــذابِ الجحيم فيه أمِنّــا وبــه كـلَّ حكمــةٍ قـد عَلمنــا
كم شهـدنـاهُ بـالصفـات فقُلنــا هو طاوُوسُ روضةِ الْمُلكِ بل نا
مُـوسُها الأكبـرُ الـذي يَـرعـاهــا
هـو نفسُ النَّدى لـه الفيض كُنْهُ كـلُّ فضـلٍ ونعمــةٍ من لـدنــهُ
وهو رُوحُ الهُدى نأى الجسم عنه وهــو الجـوهــرُ المجـرَّدُ منــهُ
كــلُّ نـفس مـليـكُـهـا زكَّــاهــا
نــورُ قُـدسٍ لــه الإلـهُ تَجلَّى وبــه عـاطِـلُ الـوجــودِ تحلَّى
فهو مُبدي التَّكـوين جزءاً وكُـلاَّ لم تكـن هــذهِ العنــاصــر إلاَّ
من هَيُــولاهُ حيثُ كــان أبــاهــا
ذُو عــلوٍّ لَمْ يَرْقَ وَهْــمٌ إلــيــهِ ونــوالٍ رِزْقُ الــوجــود عليــهِ
فـنعـيمُ الـخُلودِ يُـلفى لـديــهِ من يَلِجْ في جنـان جدوى يَـديهِ
يَجِــدِ الْحُــورَ مِنْ أقَــلِّ إمــاهــا
هــوَ ظِــلُّ اللهِ الـمخَـلَّد ظِــلاَّ والـوجيـهُ السـامي عُلىً ومحـلاَّ
وشـفـيــعٌ لــديــهِ عــزَّ وجَــلاَّ مــا حَبــاهُ اللهُ الشـفــاعــةَ إلاّ
لـكُـنــوزٍ مــن جــاهِــه زكَّــاهــا
غمــرَ الكـون بــالنَّوالِ وكَـلاَّ كــلَّ جيـدٍ بجـودهِ فتحـلَّى[١]
بَحْـرَ جُودٍ على الـوجـودِ أطـلاَّ مــا رأت وجهـهُ الغمــامــة إلاَّ
وأراقـتْ منــهُ حيــاءً حَيــاهــا[٢]

---

(١) كلل، أي: أحاط بها من كل جانب وطوقها.

(٢) كلمة الحياء في الأولى: الخجل، والثانية: المطر.

نشَقَ الكـونُ من شـذاهُ نسيمـا   فـانتشى بـالشـذَا وكـان رَميمـا
إن تَـرُمْ جنَّـةً وتخشَى جحيمـا   ثِقْ بمَعْـروفِـهِ تجـدهُ زعيمـا
بنجـاةِ العُصـاةِ يَـومَ لِقـاهـا

جُـودُهُ كـوثـرٌ وكم من لـدُنـهُ   فيضُ جُودٍ جرى له الفضل كُنهُ
إن روى السلسبيل بالفيضِ عنهُ   كيف تَظْمَا حَشَا المُحبِّين منهُ
وهـو من كـوثـر الـوِداد سَقـاهـا

كم أُنـاسٍ عبَّت به في شفـاتِ   فـأشتفى منها الـداءُ في رشفاتِ
وروتـهـا فـخُـلّدت بـحـيـاةِ   شَـربـةٌ أعقبتـهُـمْ نَشَـواتِ
رَقَّ نـشَـوانُهـا وراقَ انْـتِشَـاهـا

إنْ حبـاكَ الإلـهُ فضـلاً وأولى   قُـوَّةً لم تـزل لـديـكَ وحَـولا
فـاقترفتَ الـذُنـوبَ فعـلاً وقـولا   لا تخف من أسى القيامةِ هَـوْلا
كـشـف اللهُ بـالـنَّبـيِّ أسـاهـا

فـالبـرايـا جميعُهـا تـرتجيـهِ   وهـو عـنـد الإلـهِ أيُّ وجيـهِ
مَلَكَ الْمُـلك فـأسـترقَّ ذَويـهِ   مَـلِكٌ شَـدَّ أزرَهُ بـأخـيـهِ
فـاستقـامت من الأُمـورِ قَنـاهـا

ميِّتُ الـغـيِّ بـأسُـهُ أفـنـاهُ   والهـدَى الحيُّ سيفُـهُ أحيـاهُ
كم عـرينٍ أورَى ببـرقِ شَبـاهُ   أسـدُ اللهِ مـا رأتْ مُـقـلتـاهُ
نـارَ حـربٍ تَشِبُّ إلا اصـطلاهـا

سيفُـهُ روَّع الحِمـامَ بـغـربِ   قـد أطاعتـهُ أهلُ شـرقٍ وغـربِ
كم رمَى المشـركين منهُ بِـرُعبِ   فـارِسُ المؤمنين في كلِّ حـربِ

قُـطبُ محـرابهـا إمـامُ وَغـاهـا

ذو حُسـامٍ بحدِّهِ الـدينُ أحـدى ويمينٍ من دونهـا السيفُ حَـدّا

أروعٌ روَّعَ الـضـلاَل وأردَى لم يَخُض في الهياج إلا وأبدى

عـزمـةً يَـتّقي الـرَّدى إيـاهـا

ناصرٌ شِـرعةَ الهُـدى والمحامي عنـه حـامي حقيقـةَ الإسـلامِ

قـاصِمُ المشركين عنـد الصِّدامِ ذاك رأسُ المـوحِّـدين وحـامي

بَيضـةِ الـدِّين من أكُفِّ عِـداهـا

نـالَ صُبْحُ التـوحيد فيـه التنفُّسْ وبه الشِّركُ في ثَرى هُلْكِهِ رُسْ(١)

مُفردٌ ليس مثلهُ في التجسُّسْ(٢) جَمَـعَ اللهُ فيـهِ جـامعـة الـرُّسْـ

ـلِ وآتـاهُ فـوق مـا آتـاهـا

ذو سِنَـانٍ وصـارمٍ يـومَ مُعضـل ذا يَخِيطُ الْكُلى وهــذا يُفصِّــل

فإلى رُمحه انتمتْ نهشـةُ الصِّلْ وإذا ما انتمت قبائلُ حيٍّ الـْ

ـمَـوت كـانت أسيـافُـهُ آبـاهـا

أســدٌ إن رأى الهيـاجَ تَبختـرْ وإذا الرُّعب لجلجَ الأُسد زمجرْ

وَذراهَـا ذَرْوَ الهشيمِ بِصَرْصَـر مَن تَـرى مثله إذا صرَّت الْحَـرْ

بُ ودارتْ على الكُمـاة رَحـاهـا

كم لأفعـى سِنـانــه مـن تلوِّي ولِـصَـمْـصـامـه دويٌّ بِـدَوٍّ

وعلى الصِّيـد كم لَـهُ من سُمُـوٍّ ذاك قَمْقَـامُـهُ الـذي لا يُـرَوِّي

غيـرُ صَمْصَـامِـهِ أُوامَ صَـداهـا

آيـةٌ قـد أتت بفتـحٍ ونصـرِ للهُـدى والـرَّشـادِ أعـظَم ذُخـرِ

---

(١) رس الميت: دفنه. ورُسَّ: دُفن. (٢) يريد لا يعثر على مثيل له بعد البحث والتحرّي.

كم تجلَّى بسيفــه لَيــلُ كُفْــرِ وبــه استفتَح الهُــدى يــومَ بــدرِ

من طُغــاةٍ أبتْ ســوى طَغــواهــا

كم تَراءَى من غِمْدِ رُعْبٍ حسامُ بِهِمُ منــه قــد أحــاطَ حِمَــامُ

مُــذْ أظلَّت منــه الـطَّغَــامَ غمــامُ صَبَّ صَوْبَ الرَّدى عليهم هُمَامُ

ليس يَخشى عُقبى التـي ســوَّاهــا

سيفُ حقٍّ ماضي الْغِرَارِ صَقيــلُ صــكَّ سمعَ الـزمان منــه صَلِيلُ

كم بــه إذ بَــرى تَــداوَى عليــلُ يــومَ جاءتْ وفي القلوبِ غليــلُ

فَسَقــاهــا حُســامُــهُ مــا سَقــاهــا

بَــطَلٌ كــلُّ فِــرْيَــةٍ فيــه تَبْطُلْ وبــه الحقُّ يستـقيــمُ وَيَكْـمُــلْ

ليسَ يَخشى الرَّدى ولا عنهُ يَنْكُلْ كيف يَخشى الذي لَه مَلكُوتُ الْ

ـأَمْـنِ والنَّصــرِ كـلّه عُـقبــاهــا

كم رَمى رُعبـهُ الـطُّغـاةَ بكَـربِ فتفــانَت منــه بــطعنٍ وضَــربِ

وأحــاطت بهــا فَيــالِقُ خَــطبِ فـأقـامت مـا بين طيشٍ ورُعبِ

وكفــاهــا ذاك المـقــامُ كفــاهــا

أروعٌ كم خـطتْ لـه خـطواتُ لـمقــامٍ مـن دُونِــهِ كـبــواتُ

ولَكَم إذ سَمت بــه صـهــواتُ ظهرت منه في الـوغى سَطَواتُ

مــا أتى القـومُ كلُّهم مــا أتــاهــا

كم حمى الدِّين منه مُرْهَفُ حَدٍّ وَمَحــا كـلَّ ذي خِصــامٍ أَلَــدِّ

ورمَـى رُعْبُــهُ الــرِّعــانَ بِـهَــدِّ يــومَ غصَّت بجيشِ عَمْــرِو بنِ وِدِّ

لَهَــواتُ الْفَـلا وضَــاقَ فَضــاهــا

أسـدٌ في الهيـاجِ يَقْـدُمُ أُسـدا ونُسـوراً على المراقب رُبْـدا[1]
فَخَـطاهم وجـرّ للحتفِ جُنـدا وتخـطّى الى المدينـةِ فـردا
بسـرايـا عـزائـمٍ سـاراهـا

عَبَـرَ الخنـدقَ العـظيم بصـافِنْ وبعَضبٍ كم قد برى ذي بَـراثنْ
وجَنـانٍ مـا خـانـهُ في الْمَـواطِنْ فـدعـاهم وهُم أُلـوفٌ ولـكنْ
يَـنـظُرُون الَّـذي يَشُـبُّ لَـظاهـا

أفهَـلْ من مُنـاجـزٍ لي حـريٍّ بكفـاحـي من الـحيـاةِ بَـرِيٍّ
أو سَـريٍّ يُجيبُ صَـوْتَ سَـرِيٍّ أين أنتم عن قَسْـوَرٍ عـامـريٍّ
تَتَّقي الأُسْـدُ بَـأْسَـهُ في شَـراهـا

ورأى القـومُ منـه ليثـاً أحمَّـا مَـلأ الدَّهـر منه عـزمـاً وحَـزْمَـا
فـانثنَـوا عنـهُ خيفـةً إذ أَلَمَّـا فـابْتَدَا المصـطفى يُحدِّث عمَّـا
يُؤجَـرُ الصَّـابِـرُونَ فِي أُخْـرَاهـا

ضـامنـاً جنَّـةَ النَّعيمِ ضمـانـا مُعـطياً من لَـظى الجحيم أمانـا
لِمُـذِيقِ العِـدَى رَدىً وهـوانـا قـائِـلاً إنَّ للجليـلِ جِنَـانـا
ليس غيـرُ الْمُجَـاهـدين يَـراهـا

أينَ مَن شـاءَ في القيـامـةِ يَـأْمَنْ أين مَن رامَ من عـذابٍ يُحَصَّنْ
أين مَن للجهادِ في الدين يَرْكَنْ أين مَن نفسـهُ تَتُـوقُ إلى الجنْـ
ـنَّـاتِ أو يُـورِدُ الجحيمَ عِـداهـا

---

(١) رَبد ربوداً بالمكان: أقام.

مَـن تـراهُ دَمَ الضَّـلال مُـطِلّاً   من مُجَلّي منـه غَمامـاً مُطِلّا
مَن مُبيـرٌ عن الـرَّشـادِ مُضِـلّا   مَن لعمـرٍو وقد ضمِنت عَلَى الـ
ـلّهِ لـهُ من جِنـانِـهِ أعـلاهـا؟

ودَعـاهُم لنيـلِ أَعْلَى مقـامِ   ونـعـيـمٍ بـاقٍ ودارِ سـلامِ
ولمجـدٍ مُخلَّدِ الـذِّكـرِ سـامِ   فالْتَوَوْا عن جَـوابه كَسَـوامِ
لا تـرَاهـا مُجيبـةً مَن دَعـاهـا

تَختشي بـأسَ عـامـريٍّ سَريٍّ   قـد دعـاهم بـأسمرٍ سَمْهَـرِيٍّ
راعَـهُـم كـلَّ بُكْـرَةٍ وعـشـيٍّ   وإذا هُـم بـفـارسٍ قُـرَشِـيٍّ
تَـرجفُ الأرضُ خيفـةً إذ يَـطاهـا

وبِيُمنى يَـديـهِ سيفٌ صقيـلُ   بشَباهُ صَرفُ الـزَّمـانِ جـديـلُ
كم لِـرُعبٍ منه تَـزلـزَلَ غِيـلُ   قـائِلاً مـا لهـا سـوايَ كفيـلُ
هـذهِ ذمَّـةٌ عـليَّ وَفـاهـا

يَتهـادَى بـصـارمٍ لا يُصـادَمْ   وبـبـأسٍ هَـدَّ الـرَّدى فتهـادَمْ
ومضى للوغى بـعـزمٍ تَـراكَمْ   ومَشى يطلبُ الصُّفوف كمـا تَمْـ
ـشي خِمـاصُ الحشَا إلى مَـرعاهـا

لا يَهـابُ الـرَّدى ولا يَتـوقّى   مِن كفـاحٍ على المنيَّـةِ شَقّـا
ورأى الطَّعن حاقَ والضرب حقّا   فـانـتضـى مِشْـرَفِيَّـهُ فَتَلقّى
سَـاقَ عمرٍو بِضَـربـةٍ فَبَـراهـا

ضـربـةٌ عن قضـائهـا لم يصُنْهُ   قَـدَرُ اللهِ والـقضـا لـم يُعِنْـهُ
مِن هُمامٍ تُرْوَى مَدى الدَّهرِ عنهُ   وإلى الحشـرِ رَنَّـةُ السيفِ منـهُ

يمــلأُ الخـافقَينِ رَجْــعُ صَـداهــا

قـد قَضَاهـا مـاضيـهِ دون أنـاةِ فمضَى صِيتُهـا بستٍّ جِهــاتِ
وَرَوتْــهــا الــرُّواةُ بــعــدَ رُواةِ يـا لَهاضربــةٌ حـوت مكَـرمـاتِ
لم يَــزِنْ ثِقْـلَ أَجْـرِهَـا ثَقَـلاهــا

ضـربةٌ قـد حوت من الإفضـالِ عـددَ النَّجم والحصَى والرِّمـالِ
فمــزايــاهُ أنجـمٌ في الْـمِثــالِ هـذه من عُلاهُ إحـدَى الْمَعـالِي
وعـلى هــذه فـقِسْ مَــا سِــوَاهــا

كم قُــرونٍ أبــادَهــا ونفــوسِ أوقدَتْ نارَ كلِّ حربٍ ضَـرُوسِ
بحُسامٍ كم قد سقَى من كُؤوسِ وَبِأُحْدٍ كَمْ فَـلَّ آحـادَ شُـوسِ
كلَّمــا أوقــدوا الــوغى أَطفــاهــا

وبـه الأرضُ زُلـزلت حين سَـلاَّ وظـلامُ الهيجـاءِ فيــه تـجلَّى
إذ طَوَى فيهِ مِن سَمـاها سِجِـلاَّ يــومَ دارَت بــلا ثَــوابِــتَ إلاَّ
أســدَ اللهِ كــان قُــطْبَ رَحــاهــا

هـــو لــلمؤمـنيـنَ أكــرمُ مَــولَى كم به اللهُ قد كفى الأرضَ هولا
وَهْوَ في حفظِها من الزَّيـغ أولى كيفَ لــلأرض بـالتَّمَكُّنْ لَـولا
أنَّــه قــابِضٌ عــلى أَرْجَــاهــا

جَـوهرٌ قـد نأى عن الأعـراضِ وسَمَــا ذكْـرُهُ عن الإنقــراضِ
عَبـدتْـهُ قُضْبُ القَنـا والفـواضِ رَبُّ سُمرِ القَنا وبيضِ المواضِي
سبَّحت بــاسْمِ بأسِـه هَيجاهــا

كم أُناسٍ جارت عن الدِّينِ قصدا وأضلَّت من الـهــدايــة نجــدا

ثمّ جازت من خطَّةِ الرَّشد حَـدا   يـومَ خانت نبَّـالَـةُ القـوم عَهـدا

لنبيِّ الهُـدى فخـابَ رَجـاهـا

مُـذْ رأتْ بـاسِـلاً بعضبٍ أشتَّـا   جَمْـعَ أَعـدَائِهـا وللعـزمِ بتَّـا

ورأت في أعضـادها الـرُّعب فتَّا   وتـراءتْ لـهـا غنـائـمُ شتَّـى

فـاقتفى الأكثـرون إثْـرَ ثَـراهـا

عنـهُ ولَّت والحتفُ بينَ يـديـهِ   ورأَتْ حيـدراً فَـآبتْ إلـيـهِ

وَهْيَ مِن قبـلِ إن تُوافي لـدَيـهِ   وجـدتْ أنجمَ السُّعـود عليـهِ

دائـراتٍ ومـا دَرَتْ عُـقـبـاهـا

شـامَ منهـا الـنبيُّ ودّاً أكيـدا   ولـدَيها أصـابَ رأيـاً سَـديـدا

وفؤاداً لَـدَى النِّزالِ حـديـدا   فِئةٌ ما لـوت من الـرُّعب جِيـدا

إذ دَعـاهـا الـرَّسـول في أخـراهـا

فـأجـابت نِـداءَ أكـرمِ هـادِ   إذ دَعـاهـا مُستنصـراً للجهـادِ

حيثُ جالت بالمُشركين العوادي   وأحـاطت بـه مـذاكي الأعـادي

بعـدمـا أشـرفت على استيـلاهـا

والتقـاهُم بأسٌ بـه العزمُ يُفسخْ   ومَـواضٍ بهـا الجُسـومُ تَضَمَّـخْ

فـانثَنوا والقلوبُ بـالرُّعب تُسلخْ   فتـرى ذلـكَ النَّفيـر كمـا تخـ

ـبِطُ في ظُلمـةِ الـدُّجى عَشْـوَاهـا

واستـظلُّوا من الـرَّدى بـالثَّنـايـا   حين طاشت أحلامَهُم بـالرَّزايـا

ولكَم منهُـم لِعـظم الـبـلايـا   يتمـنَّى الـفتـى وُرودَ المـنـايـا

والمنـايـا لـو تُشتـرى لاشتـراهـا

كم عليها سُدَّت من الرُّعب طُرقُ ولـدَيها قـد ضاقَ غَـربٌ وشرقُ
فهي من رُعبهـا وللرُّعـب رشقٌ كلّمـا لاح في المهـامـه بـرقُ
حَسَبَتْــهُ قَنَـا الْـعِــدَى وظُبَـاهـا

وَلِـرَمْيِ الأبصـار منــهُ بخَـطفٍ أَو لِـرُعبٍ منه وأهــوالِ رجفِ
أصبحت كـالخِـلال أيَّـةَ نُحفٍ لم تَخَلْهـا إلّا أضالـعَ عُجْفِ
قـد بَـراهـا السُّـرى فحـلَّ بُـراهـا

قـارَعتها الخُــطوبُ أيَّ قِـراعِ ورمَتهـا أحـداثُهـا بـانصــداعِ
فهي إن أصبحت بقلبٍ مُــراعِ لا تَـلُمْهـا لِـحيــرةٍ وارتـيــاعِ
فـقــدَتْ عــزَّهــا فَعَــزَّ عَــزاهـا

وتَـلافَى الإلَـهُ في المكـر مكْـرا من طُغـاةٍ طغت وبالغـدر غـدرا
عـادَ فيـه عليهم الحِجْـرُ حِجْـرا إن يَفُتْهـا ذاك الجميـلُ فعُــذرا
إنمــا حُلْيَـةُ الـرِّجـالِ حِجَـاهـا

مَضغتْهـا الخُـطُوبُ أيَّـةَ مضـغِ مُذْ رَأَت سمعَها لها غير مُصـغِ
فئــةٌ لــم تــزل بِــذُلٍّ لنَــزغِ لــدَغتهـا أفعـالهـا أيَّ لــدغِ
رُبَّ نـفسٍ أفعــالُـهــا أفعـاهـا

عَضبُـهُ للحِمـام كم فَـلَّ عَضبـا وشَـبَـاهُ كم راع لـلدَّهــرِ قلبـا
وبيــوم فِيـه رمى الكُفــر شُهبـا قـد أراها في ذلـك اليوم ضـربا
لـو رأتـه الشُّبــانُ شـابت لِحَـاهـا

هــدَّ فيه من عـزمهـا كـلَّ حصنِ ورمـاها بـالخوفِ من بعـد أمنِ
وسَقـاهـا كــأس الحِمـامِ بلَدنِ وكسـاهـا العـار الـذَّميم بـطعنِ

من حُلَى الكبرياءِ قد أعراها

وبُطونُ النُّسور أمستْ مَدافنْ لِطَغامٍ لها الجحيمُ مَساكنْ

طحنتها قُبُّ البطونِ الطواحنْ يوم سالت سيلَ الرِّمال ولكن

هبَّ فيها نسيمُها فَذَرَاها

ذاك يومٌ أنَّى له من شبيهِ ذاك يومٌ سَمَا عن التَّنويهِ

ذاك يومٌ مدحُ الورى لَا يفيهِ ذاك يومٌ جبريلُ أنشدَ فيهِ

مِدَحاً ذُو الْعُلى له أنشاها

كم له في العُلَى مقامٌ عليٌّ وفخارٌ من كل فضلٍ مَلِيٌّ

حيثُ فيهِ قد جاء نصٌّ جَلِيٌّ لا فَتَى في الوجود إلاَّ عَلِيٌّ

ذاك شخصٌ بمثله الله باهى

ممكنٌ غيرُ ممكن بعيانِ وصفُهُ في بديع كلِّ بيانِ

إنَّ من كَلَّ عنه كُلُّ لسانِ لا تَرُمْ وصفهُ ففيهِ مَعانِ

لم يَصِفها إلا الذي سَوَّاها

غَرَسَ الله حَمْدَه أيَّ غرسِ بفؤادٍ منه ورُوحٍ ونَفسِ

فهو في ذكرِهِ بِجَهْرٍ وهَمْسِ مَن رآه رأى تماثيلَ قُدسِ

عن ثناء الإله لا تتلاهى

لِرِضَى رَبِّهِ يقومُ ويقعُدْ وبذكراه ليس إلاَّهُ يقصدْ

في فؤادٍ عن ذكرِهِ ما له بُدْ وسَمَتْ في ضميرِهِ حضرةُ القُدْ

سِ فأنَّى يَفوتُه ذِكراها

شَمَلَ الذرَّ من أياديه مَنٌّ غَمَرَ الكونَ ظاهرٌ مستكنٌّ

ويـقيـنـاً مـا شـابَـه قطُّ ظـنٌّ   مـا حوى الخـافِقـانِ إنسٌ وجنٌّ

قَصبـاتِ السَّبق التي قـد حَـواهـا

هـو خِـدنُ العُلى وللعِلم مـأوى   كلُّ فضلٍ عنه مدى الدَّهر يُروى

مُـذ سِـواهُ العليـاء لم تَـرَ كُفْـواً   أَلِفْتـهُ بِكْـرُ الْعُلَى فهي تَهْـوى

حُسْنَ أخـلاقـه كـمـا يَهـواهـا

طابقَ اسمُ العُلَى بفضلٍ مُسمّى   منـه أعيا ظنّـاً وأتعبَ وهمـا

هُـو نفسُ العُلى القديم وقِـدمـا   شقَّ مِن ذكـرِه العليُّ لـه اسْمـا

فهـو ذاتُ الْعَليـاءِ جلّ ثَناهـا

كم بقتلاهُ صَيَّر الأرض أمتا   فاغتدت بالأشلاء وَعْراً وخَبتَا[١]

مُذ بها الدَّهرُ ضـاق فوقـاً وتحتا   مـلأ الأرضَ بـالـزلازِل حتَّى

زادَ مِـنْ أرؤس الكُـمـاةِ رُبـاهـا

كم علَى معشـرٍ من الدَّم قمصُ   نَسْـجُ سيفٍ لهـم بهـنَّ يَخُصُّ

أرَوعٌ عـنـه لـلمـنيّـة نَـكْصُ   لا تَخَلْ سيفَه سوى نفخةِ الصُّـوْ

رِ يَـسُـلُّ الأرواحَ مـن أشـلاهـا

كيف تنجـو أشباحُ مَنْ كـابـدتْـهُ   وجميعُ الأرواحِ قـد عـاقـدتْـهُ

فهي تجفو الأجسامَ إن شاهدَتـهُ   فكـأنَّ الأنفـاسَ قـد عـاهـدتْـهُ

في جفـاء النُّفـوس مهمـا جفـاهـا

لم يَـزل خـائضـاً قَتـامَ القِتـالِ   بانتصار الهُـدى ومَحق الضلالِ

(١) الأمت: المكان المرتفع. والخبت: ما اطمأنَّ واتسع من الأرض.

أسـدٌ بـاسـلٌ بسُـوق النِّـزال   كم شَرى أنفُس الملوكِ الغوالي
بـالعـوالي فـأرخَصت مُشتـراهـا

كم وُجُوهٍ كانت من الكفر غُبرا   مُـظلمـاتٍ ولـونُهـا مُكفهـرّا
ثمّ عادت من رُعبِ ماضيه صُفرا   واستحـالت مِن الصوارِم حُمـرا
كـفتـاةٍ تـورَّدت وَجْنَتـاهـا

وَلَكَمْ حين عَـزمُهـا عنـهُ نَكَّبْ   فـأضلَّت من رُعبها كـلَّ مَذهبْ
طلبتْ مهـربـاً فلم يُلْفَ مهرَبْ   فـأبانَ الأعنـاق عن مـركـز الأبـ
ـدانِ حتَّى كـأنَّ نـافٍ نَـفـاهـا

فـانتفت في ثُباتِ عَضبِ مُـذَكَّرْ   بـاتِـرٍ في غِـرارهِ كـلُّ أبتـرْ
كم بـه قـد أبـادَ جيشـاً ودمَّـرْ   وأعـاد الأجسـام قَفْرَى من الأرْ
واحِ يَبكي على الأنيس صَـداهـا

مَشـرفيٌّ في رُعبه المـوتُ مُغمرْ   وبـه قهـرُ خـالقِ الخلق مُضمَـرْ
حـدُّهُ للفنـاءِ أعـظم مـظهـرْ   كم عقـولٍ أطاشهـا وهي لو تَـرْ
مي نجـومَ الدُّجى لحطَّتْ سُهاهـا

ذُو سِنـانٍ يرمي الجسـومَ بجمـرِ   من طعانٍ كالشُّهب تهـوي بأمـرِ
كم قُلوبٍ منـه رمـاهـا بـذعـرِ   وعُيـونٍ لم يُقذِهـا صَـرفُ دهـرِ
مُـذ رَمـاهـا ببـأسـهِ أقْـذاهـا

ذلَّ كسـرى وقيصـرٌ والنجـاشي   لِعُلَى خيـرِ راكِبٍ بَـلْ وَمـاشي
مَلِكٌ مُـذْ أضلَّهم بـالغـواشي   قـادَ تلك الملوكَ قَوْدَ المـواشي
وعلى صفحـة القُـلوبِ كَـواهـا

كم لـه باختـراع حـربٍ نُكـاتُ وبـإذلالِ غُـلبهـا مَـلَكـاتُ
ولـه بـاصـطيـادهِم شبكـاتُ ولـه يـومَ خيبـرٍ فتكـاتُ
كـبُـرت منـظراً عـلى مـن رآهـا
عزماتٌ عن دَركِها الوهمُ يُخطي وعُقـولُ الأنـامِ فيـهـا بخبطِ
إن يومـاً أَوَهى مُنَى كـلِّ رهطِ يـومَ قـال النبيَّ إني لأُعـطي
رايتي لَيْثَهـا وحـامي حِمـاهـا
لـم يَـرَ اللهُ غيـرَهُ فـي مضيقِ بـزعيـمٍ لـهـا ولا بـحـقيـقِ
وإليـه أشـار خيـرُ شـقيـقِ فـاستطالت أعنـاق كـلُّ فـريقِ
لـيـروا أيَّ مـاجـدٍ يُـعـطاهـا
فـاغتدى كـلُّ مُدبرٍ وهـو مُقبِلْ ولِـذاك الفـوزِ العـظيمِ يُؤمّـلْ
وعلى الوعدِ كم أتى من مُعوِّلْ فَـدَعَـا أين وارِثُ العِلم والْحِـلْ
ـمِ مُجيـرُ الأيَّام من بَـأْسَـاهـا
أيـن مَن كـفُّ قـادرٍ صَنَعَتْـهُ وعلَى كـلِّ ذي عُليِّ رَفعَتْـهُ
أين مَن عين ربِّـه قـد رَعَتْـهُ أين ذُو النَّجدة الـذي لـو دَعَتْـهُ
في الثـريَّـا مَـروعـةٌ لَبَّـاهـا؟
مَن جَـلاَ صُبْحُ فتحِـه كـلَّ عينِ ووَفَى كنـزُ نـصـرِهِ كـلَّ دَينِ
إذ دَعـاهُ النبيُّ من بعـد بَينِ[1] فأَتاهُ الوصـيُّ أَرْمَـدَ عَـيـنِ
فَسَقـاهـا من رِيقِـهِ فَشَفـاهـا

---

(١) البين: الفرقة.

مُـوقِظاً عـزمةً يَـدُ الشِّـرك غلَّتْ   مُــذ رأتهــا وأنفُسَ الغيِّ سُلَّتْ
فانتضى مالَه(رصا)[1]الأُسدذلَّت   ومضى يـطلب الصفوفَ فَـوَلَّتْ
عنــه عِـلمــاً بــأنــه أمـضــاهــا

كم نُفوسٍ بالبـرق من ذي فِقَارِ   خُــطفت منهُم وعــادت لـنــارِ
إذ بــراهُم منــه بســطوةِ بــارِ   وبَــرَى مــرحبــاً بكفِّ اقتــدارِ
أقــويــاءُ الأقــدار من ضُعَفــاهــا

مُذْ أراح الغَبراءَ من كـلِّ رجسٍ   .فـاغتدتْ خيبـرٌ لهم شـرَّ رَمْسٍ
رَسَّ فيهمُ حُصــونَهــا أيَّ رسٍّ   ودَحَــا بــابَهــا بقــوَّةِ بــأسٍ
لـو حَمتها الأفـلاكُ منهُ دَحــاهــا

ذاك للمصـطفى الحبيبِ حبيبُ   وعلى شــرعِـه القــويم ِرقيبُ
ولسُقم الــدِّين الحنيفِ طَبيبُ   عــائــدٌ لـلمـؤمِّـلين مُـجيـبُ
ســامـعٌ مــا تُسِــرُّ مِنْ نَجــواهــا

إنْ تُمَيِّــزْهُمَــا بلَفظٍ مـنَ اسْمٍ   لا تُـميِّــزهـمــا بِعِـلْمٍ وحِـلْمِ
فهُمــا واحــدٌ كـرُوحٍ بجسمٍ   إنّمـا المصـطفى مـدينةُ علمٍ
وَهُــوَ البــابُ مَـن أتــاهُ أَتــاهــا

مَلَكَــا النَّشــأتَينِ دُنْيــاً وأُخـرى   ملأ العالَمين يُمنــاً ويُسْرى
فهمـا راحتـا الفيـوضـاتِ طُــرًّا   وهمــا مُقلتــا العــوالـم يُســرا
هــا عــليٌّ وأحــمــدُ يُــمنــاهــا

(١) هكذا في النُّسخ .

مـا لهُ في العلى سـواه ممـاثِلْ   وأَخٌ نـاصـرٌ لـه في الـزَّلازلْ
وابن عمٍّ في الخطبِ للرُّوح باذلْ   مَن غدا مُنجداً له في حصارِ الْـ
ـشِّعْبِ إذ جدَّ من قريشٍ جَفاها
حيثُ همَّتْ بـه طُغـاةُ طغـامُ   زَعـمـتْ أنَّـهـا لـه أرحـامُ
فمحاها حامي الـذِّمارِ هُمَامُ   يـومَ لـم يُـرعَ لـلنبيِّ ذِمـامُ
وتـواصت بقـطعِـه قُـربـاهـا
فيهِ شاءت كيداً فضلَّت برأيِ   وبخُسـرٍ أبت وخـابت بسعيِ
وبشكـلٍ فـاءتْ ونـاءتْ ببَغْيِ   فِئـةٌ أحـدثت أحـاديث بَغْيِ
عجّـل الله في حـدوثِ بَـلاهـا
فَـذَراهُمْ ليثٌ بـه الـطَّودُ يُنسفْ   كيفَمـا شاءَ بـالنفوسِ تَصَرَّفْ
كم كفاهُ العِدى وعنه الرَّدى كَفْ   فغـدا نفسُ أحمـدٍ منـه بـالنَّفْـ
ـس ومن هَولِ كلِّ بُؤسٍ وَقاها
ولـه كـم أعـانَ إذ لَمْ يُعِنْـهُ   غيـرُ ربٍّ عن عَينِـه لم يُبِنْـهُ
وهـو ذاك الأخُ الذي اشتقَّ منـهُ   كيفَ تنفـكُّ في الملمَّـاتِ عنـهُ
عِصمَـةٌ كـان في القـديم أخـاهـا
فالفيُوضات في الوُجُـوداتِ منها   وإليهـا أمـر العـوالمِ مُنْهَى
كم لهـا والسَّما عُلَى لم تَـزِنهـا   عزمةٌ قصَّرت أُولو العـزْمِ عنها
أين أُولى الـجيـادِ مـن أُخـراهـا
كَبُـرت فـالسَّمـا لـديهـا تُصَغَّـرْ   وَهْيَ أَوفى منهـا بُـدوراً وأَوفَـرْ
وهي من جملةِ الوجوداتِ أكبـرْ   عَزمةٌ عـرضُها السَّمـاواتُ والأَرْ

ضُ أحــاطتْ بِصُبحها ومَســاهـا

وازرتْ أروعاً سَمَا الكون عزمـاً وحُساماً عنـه القضا نـابَ حَسْماً
فاسأَلِ الـدَّهرَ عن مَعـاليهِ قِـدْماً وإذا لـم تُحط بـمعـنـاهُ عِلْمـاً

فَـاسْـأَلِ الْعُـرْبَ مَنْ أَطَـلَّ دِمـاهـا

ثَـلَّ للعُـرْبِ رُعْبُـهُ كُـلَّ أُسِّ بِمَـواضٍ كم نُكِّست كُلَّ نَكْسِ
وسَقـاهـا من الـرَّدى أيَّ كـأسِ وغَـزاهــا في كـلِّ دَوٍّ ببـأسِ

لـو تعـاصَت غُـولُ الفَـلا لَغـزاهـا

بَتَّ منهـا عِـرقَ الضـلالـةِ بَتَّـا وبـأعضادِهـا من الـرعب فتَّـا
وكسـاهـا الـرَّدى بـأنـواع شتَّى وسقـاهــا صُمَّ الأنـابيب حتَّى

شـرِقت شُـوسُهـا بكـأسِ رَداهـا

لم يَـزل بـأسُـهُ عليهم مُـطِلاًّ جـاعِـلاً رُعْـبـهُ الأَعَـزَّ أَذَلاَّ
فَهْيَ أين انتحَت رأت منهُ ظِـلاَّ لم تَـرِدْ مـورداً من المـاء إلاَّ

ورأَتْ ظِـلَّ شـخصِـهِ تِـلْقَـاهـا

كم كسـاهُ شَبـاهُ أثـوابَ يُتْـمِ بِضِـرَابِ أودَى بِـرُوحٍ وجِسمِ
تَـتَّقـيـه بيـقـظةٍ وبـحُـلْـمِ كيف لا تُتَّقـى مضـارِبُ قِـرْمِ

يصعقُ المـوتُ عن سُماع صَـداها

كم دعاها الى الهُـدى فأجـابتْ ثمَّ خانت عهداً وبالسعي خابتْ
ورأت لـلقَنـا عُـقُـوداً فـآبـتْ كلَّمـا حلَّت العقـود أصـابتْ

نــاظِمـاً ينـظمُ القَنـا في كِـلاَهـا

جـرَّ من عزمـهِ الْعَرَمْـرَمِ جيشـا ولأَهــلِ الضـلالِ رنَّقَ عَيشـا

مَن أباد الأبطال رُعْباً وطَيْشا   ومَنِ اقتادَ بالجبال قُرَيشا
بعد ما طاول الجبال إباها
وانتحى كلَّ موطئٍ وطأتْهُ   وثناها عن كلِّ شأوٍ شأتْهُ
واستباحَ العزَّ الذي كَلأتْهُ   وأراها اليومَ الذي ما رأتْهُ
فلهذا ألقت إليه عَصاها
أدبَرتْ حين شافهت عَزَماتِ   نافِذاتٍ وكم لها من سِماتِ
بوجُوهٍ كأهلها مُظلماتِ   مُلئت منهم الثرى ظُلماتِ
وبنوريَّةِ الحُسام جَلاها
فَلكٌ منه كم رَماهُم شِهابُ   فانثنوا عنهُ صاغرينَ وآبوا
وأرادوا إطفاءَ نورٍ فخابوا   عَسعسوا كالدُّجى ولكن أصابوا
نَيِّراتٍ يَجلو الظَّلامَ ضُحاها
لبِس الدِّين حُلَّةً من لدُنْهُ   زِينَ فيها وغيرُها لم يَزِنْهُ
مُذ تَراءَى نسجُ الهِدايةِ عنهُ   أَحكمَ اللهُ صَنعةَ الدِّين منهُ
بفتىً ألحمتْ يداهُ سُدَاها
ذو حُسامٍ صرفُ الرَّدى يخشاهُ   فالرَّدى تابعٌ لحدِّ شَباه
فإذا قِسْتَ بالقضاءِ قَضاهُ   لا تَقِسْ بَأْسَهُ ببأْسٍ سِوَاهُ
إنَّما أفضلُ الظُّبَى أمضاها
سيفُ حقٍّ به القضاءُ استظلَّا   وإذا ضَلَّ في شَباهُ استدلَّا
كم أسَى للكُماةِ سُقماً أعلَّا   جَسَّ نبضَ الطُّلا فلم يَرَ إلَّا
مُرهفَ الحدِّ بُرْأَها فَبَراها

غيرُ جأشٍ يومَ الوغى لم يُعِنْهُ   وحُسامٍ مَدَى الْمَدى لم يخُنهُ
وسِنَانٍ حتفُ الضَّلالةِ منه   كلَّما ضلَّت المنيَّةُ عنهُ
جعلْتهُ دليلَها فَهَداها

طاعنُ الحتفِ في كِلىً ونُحورِ   وصميمٍ منه وصمٍّ صُخورِ
قاصمٌ في الكفاح كل هَصورِ   كم لكفَّيه في صُدورِ صُدورِ
طعنةٌ يسبق القضاء قضاها

ضاءَ منه الدُّجى ببيضٍ رقاقِ   كم بَرت للكُماةِ من أعناقِ
إن تَناسى الورى زمانَ شِقاقِ   لست أنسى للدهرِ رُمدَ أماقِ
ما جَلَا غيرُ ذي الْفِقَارِ جَلاها

رُمحُهُ روَّع الزَّمانَ بوخزِ   فأتى تائِباً إليه بعجزِ
أروعُ غَرْبُ سيفه خَيْرُ كنزِ   كم عُتاةٍ أذَلَّها بعد عِزٍّ
وعُفاةٍ بعد الْعَفا أغناها

مُرهفٌ عاشت النُّسورُ عليهِ   والمنايا بالأمرِ تحت يَدَيهِ
فكأنَّ الرَّدى غُلامٌ لديهِ   لو ترى المرهفاتِ تشكو إليهِ
حالَها وهُو راحمٌ شكواها

لرأيتَ الأشلاء لا تحتويها   كلُّ قطرٍ والأرضُ لا تكفيها
أو رأيتَ النَّحورَ إذ يَفريها   لرَأيت الدماءَ يسبحُ فيها
من أعالي الجبال شُمٌّ ذُراها

حَمَلتهُ يدٌ جَرت بعُبابِ   غَبَّ في كلِّ فَدْفَدٍ ويَبابِ
هي في يومِ نائلٍ وضِرابِ   فاضَ منها ما لم يَفض من سَحابِ

لــو رآهـا السَّحـابُ لاستجـداهــا

حِلفُ عَضب بيضُ الظُّبَى لم تَزِنهُ فهــو الحتفُ والفنـا من لــدنـهُ
وسنــانٍ سـلَّ اللَّوابِــدَ عنـهُ[1] كـلَّ يـومٍ يُجـرِّدُ الـطعنُ منــهُ

هِمَّــةً تمســحُ الكُمــاةَ يَــداهــا

لم يــزل يُلعِبُ الـرَّدى بِجَنــانِ سَبقَ الحتف جريُـهُ في رِهــانِ
لاذَ فيـهِ في الـرَّوع حــدَّ سنـانِ أعلَمُ النـاس بالـوغى كم معـانِ

مـن طِعــانٍ على يـديـه ابتـداهـا

أيُّ فضلٍ وفضلُه لم يكنهُ أو عُلومٍ ولم تكن من لدنهُ
فــإذا الـعـلم كـلُّه كــان مـنــهُ كيفَ تخفَى صِناعةُ الحربِ عنهُ

وجميــعُ الـذرَّات قــد أحصاهــا

قـد تَـراءَتْ آيٌ لــه محكمـاتُ واستضـاءَت بوجْهِـهِ مُكـرمـاتُ
كـم لــه إذ تــرادَفـتْ أزمــاتُ عَــزَمــاتٌ تَحُفُّهــا عَــزَمــاتُ

كُــلُّ يُمنى تنـحطُّ عن يُســراهــا

كم فُتــوحٍ لــه عُقَيْبَ فُتــوحِ بحسـامٍ ماضٍ وطـرفٍ سُبوحِ
وبـحــزمٍ تحشُّـه بجـمــوحِ عَــزَمــاتٌ مُــؤيَّـداتٌ بــروحِ

لا تــرى الخلقَ ذَرَّةً مِـنْ هَبــاهــا

ليس يَهوى روضاً كروضِ النِّزالِ وظِــلالاً كمثـل ظِــلِّ النِّصـالِ
لا ولم يَجْنِ غيـر نُـورِ المعـالي رائِــدٌ لا يــرودُ إلاَّ الـعــوالـي

---

(١) اللاّبد: الأسد.

طابَ من زَهرةِ القنا مُجتلاها

قاضياتٍ على العِدى بالمنايا   ماضياتٍ عليهمُ بالرزايا
من هُمامٍ لم يُبْقِ منهم بقايا   جاءَ بالسَّيفِ هادياً للبرايا

حيثُ لم يُثنِها الهُدى فثناها

أسدٌ كَمْ رمَى الأُسودَ بِرُعبِ   سار مثل اسمِهِ بشَرْقٍ وغربِ
وَبِحَربٍ أبادَ أرجاس حَرْبِ   مَن تَلَقَّى يَدَ الوليدِ بِضَربِ

حَيْدَرِيٍّ بريَ اليراع بَراها

كم أفاعٍ أباد ماضيهِ مُلْسٍ   وأُسودٍ من رُعبها منه خُرسٍ
وكَسَا حدَّه للرَّدى كلَّ رجسٍ   وسَقى منه عُتبةً كأسٍ بُؤسٍ

كان صِرفاً الى المعاد احتساها

مَدَّ عضباً كم للقضاء أمدَّا   ولنصرِ الأقدار أرهفَ حدَّا
فأقام الهُدى وللغيِّ هدّا   ورأى تيهَ ذي الخِمار فردَّا

هُ من الذُّلِّ بُردةً ما ارتداها

ماردٌ قد رماهُ منهُ بشُهبِ   قَدْ تَهاوَت للرَّجمِ مِن كفٍّ نَدْبِ
إن نسيتُم مَهواهُ منها بضربِ   لستُ أَنسى له شياطينَ حربِ

بِإلهيِّ بَأْسِهِ أخزاها

رمحُه زينةُ الوغى لم يَثْنِهُ   قِصَرٌ إذْ لِسَاعِدِ الحتفِ كُنهُ
حلَّ في ساعدٍ سَلِ الضربَ عَنهُ   ذاك من ليس تُنكرُ الحربُ منهُ

بارقاتٍ يجلُو الظلامَ ضُحاها

لِشَباهُ عريكةُ الدَّهرِ لانَتْ   ولهُ الأرضُ والسماواتُ دانَتْ

ومنـايا الإشـراك إذ فيـه جـاءتْ كم رَمى راحةً فشُلَّت وكانت

قُلـةً ليس يلتـوي عِطْفَـاهـا

بـرياضِ الهُـدى ليُمناهُ غَـرسٌ وبعـرشِ العُلى لعُليـاهُ عكسٌ

فَلهُ من خُـلاصة القِـدس نفسٌ ولـه من أشعّةِ الفضـلِ شمسٌ

ودَّت الشمسُ أن تكـون سَمـاهـا

زادَ فضـلاً فـزاد فيـه التحيُّـرْ مَلِكٌ في الـوجُـودِ يَنهى ويـأمُـرْ

فـإذا فـاتَ عَنـك فيـه التبصُّـرْ أعِـدِ الفِكـرَ في معـانيـهِ تنـظُرْ

كيفَ يُحيِي الأجسـامَ بعـد فَنـاهـا

نـورُ قُدسٍ لضـوئِهِ الـرُّشد كُنـهُ فهَـدى كلّ ذي هُـدَى من لدنـهُ

سَـل عُقولاً تُضيءُ بـالنـور منهُ واسـأل الأنبيـاءَ تُنبئـك عنـهُ

أنَّـهُ سِـرُّهـا الـذي نـبَّـاهـا

حازَ مجداً كـلَّ الْعُلَى من لدنـهُ مَـلأَ الأرضَ والسَّمـاوات مِنـهُ

فـاسألِ الكـونَ عنه إن تجهَلْنَـهُ وكـذا فـاسأل السَّمـاواتِ عنـهُ

مَن أطـاعت لـوحيـه يُـوحـاهـا

كم وَرى في حُسامِهِ الدَّهرُ وَرْياً ولـه كم غـدا دمُ الشِّـرك سَقْيـاً

مَن أقـامَ الْهُـدَى ودَمَّـر غيّـاً ومـن استـلَّ لـلحـوادثِ رأيـاً

كسنى المُبـرِقـاتِ يَفـرِي دُجـاهـا

كم بكسرِ الأصنامِ يُمنـاهُ سُرَّتْ إذ رَقَى متنَ مَن به الأرضُ قَرَّتْ

والسَّما باسمِهِ العظيم استقـرَّتْ وامتطى الكاهِلَ الذي قد أمرَّتْ

قُـدرةُ اللهِ فـوقـهُ يُـمـنـاهـا

كم أبــادَ الــرَّدى بقضبٍ ومُـلْدِ　　هي تُحيـي الهُدى وللرُّشد تَهدي

فهـو عن حِكمـةٍ يعيــدُ ويُبـدي　　ذاك يُحيـي الموتى وإن كان يردي

كــلَّ نفسٍ أخنى عليها خَنــاهــا

فيض فُضل كم غاضَ ثمَّ تـدفَّقْ　　وبــأخــلاقِ رَبِّــه قــد تـخـلَّقْ

فَمع الفيضِ إن على البعضِ ضَيَّقْ　　كم نفـوسٍ تُصحُّهـا عِللُ الفَقْـ

ـرِ ولــو نــالهــا الغِنَى أطغــاهــا

أسعـرَ الْكُفـرَ مِنْ شَبَاهُ اشتعـالُ　　وتــداعـت للغيِّ فيــه جبــالُ

أروعُ من سَــطاهُ راعت نِصــالُ　　حسبُ أهـل الضِلالِ منه نبـالُ

هـي مَــرمى وَبَــالِهــا وَبَــلاهــا

بحـرُ فيضٍ أفاضـهُ ذُو الجلالِ　　صَـدَفُ الدَّهـرِ في لآلِيهِ حـالي

وهـو كنـزُ الْعُلَى وَعِــزُّ الفعـالِ　　قــائمٌ في زكـاةِ كــلِّ المعـالي

دائــمٌ دأبــهُ عــلى إيــتــاهــا

فـالبـرايـا مـا بينَ نهــلٍ وعَـلِّ　　من مُحيطٍ بـالكون فضـلا مُطلِّ

ونــوالٍ غِـنـىً لــكــلِّ مُـقــلِّ　　لـو سَرتْ في الثرى بقيَّةُ طَـلِّ

مـن نــداهُ لــروَّضت حَـصْبــاهــا

زانَ عـرشَ العُلى بأنجمِ سَعـدِ　　نورُها في الـظلامِ يهدي لـرُشدِ

مَــالكاً منــه كـلَّ حــلٍّ وعقـدِ　　كم أدارت يَــداه أفـلاكَ مجـدِ

مستمــرٌّ على الـزمــان بـقــاهــا

دوحـةٌ أثمـرت ثِمـاراً ضُـروبـا　　وأضـلَّت قَـبــائــلاً وشعــوبــا

إن سَمَـا فرعُهـا السَّماءَ رُكـوبـا　　ذاك من جَنَّـةِ المعـالي كَـطُوبى

كـلُّ شـيءٍ تُـظلهُ أفـيـاهـا

كم أضـاءَ الثرى بـه إذ أطـلَّا   بسنىً فيـه كـلُّ داجٍ تجـلَّى
إن بـه أضحت العُلى تتحـلَّى   ذاك ذُو الـطلعـةِ التي تتجـلَّى

خَفِـراتُ الجمـال دُون اجتـلاهـا

كم أَبـادَ الأبـطالَ منـه بنَصْـلِ   فـاصلٍ لـلأعناقِ حـاكم فَصلِ
وَلَكَم داسَ رأسَ مَلْكٍ بنعـلِ   إيْ وعينَيـهِ لا أكـاليـلَ فضـلِ

لـملوكِ الـملوكِ إلّا احـتـداهـا

لم يَزل للوُجود بـالجود يُسهدي   أنعُماً غيرَ فيضِها ليس يُجدي
إن رماك الـزَّمـانُ منه بجُهـدِ   لُـذْ إلى جُودهِ تجـدْ كيف يَهدي

حُلَلَ المكـرُماتِ من صَنعـاهـا

غَـمَـرَ الـكـونَ كـلَّهُ بـأيـادِ   أبـدَ الـدَّهـر مـا لهـا من نَفـادِ
فهـو البحـرُ فـاضَ في كـلِّ وادِ   كـم لـه من روائـحٍ وغــوادِ

مـدَدُ الفيضِ كـان من مَبـداهـا

شَـرَعَ العلمَ والمكـارمَ سَنَّـا   وبجـودٍ على الـوجُـوداتِ مَنّـا
عرشُ فضلٍ أقصى سماء تسنَّى   كم لـه شمسُ حكمـةٍ تتمـنَّى

غُـرَّةُ الشمسِ أن تكونَ سمـاهـا

كم غُيـوبٍ قد حـاز بعـد تَخَفٍّ   وعُلومٍ لم تَحْوِهَا كـلّ صُحْفِ
خـازنُ الغَيْبِ كلَّ خـافٍ للُطفِ   لم تَـزلِ عنـدهُ مفاتيـح كَشْفِ

قـد أمـاطتْ عن الغيـوبِ غِطاهـا

ما لِعَلْياهُ في العُلى من مُضاهِي   وعُـلاهُ كـفضـلهِ مُـتـنـاهـي

ذو مَعالٍ بها الإلهُ مُباهي رُبَّ حالَيْ أوامرٍ ونواهي

ليس يرضَى الإلَهُ دون رِضاها

بأَبي مَن يُمناهُ للكونِ تَهمي بأَبي من ضُباهُ للغيِّ تُدمي

بأبي مَن حِماهُ للرُّشد يَحمي بأبي ذُو يدٍ عن اللهِ تَرمي

أيُّ سهمٍ للهِ في مَرْمَاها

هي كفٌّ على الوجوداتِ تشمخْ هي عضبٌ عزمُ الرَّدى فيهِ يُفْسخْ

هي قُطبٌ بها السَّماواتُ تُرسخ هي طَوراً مُديرةٌ فَلَكَ الأخْ

رَى وطَوراً مُديرةٌ أُولاها

مَن لِدينِ الهُدى وفي كلِّ دينِ وعن الرُّشدِ قد جَلا كلَّ مَيْنِ

ذاك عينُ الهُدى سنى كلِّ عينِ ومَن المهتدي بيومِ حُنينِ

حين غاوي الغُرُورِ قد أغواها

يومَ ضاق الفضا بأسطر كُتبِ من صفوفٍ صُفَّت كأسطر كُتْبِ

فانثنت والكتابُ عن ذاك يُنبي حيثُ بعضُ الرِّجال تهرُبُ من بِعـ

ـضِ الْمَواضِي والبعضُ من قَتلاها

كم بنصرٍ له على الدِّين عطفُ وانحناءٌ على الرَّشاد ولُطفُ

فهو إلفُ الهُدى وللرُّشد حلفُ حيث لا يلتوي إلى الألف إلفُ

كلُّ نفسٍ أطاشها ما دَهاها

كم من المسلمين قد صانَ نفسا وَمَحا أنفُسَ الضلالةِ خَلسا

وكساها من صِبغة الرعب ودسا مَن سقاها في ذلك اليوم كأسا

فائضاً بالمنون حتى رَواها

مـا دَرت أن بـأسهـا لم يَصُنهـا   والمواضي على العِدى لم تُعِنْهُ
مُذ رأت عدَّةً كَبَا الحصرُ عنهـا   أعجبَ القـومَ كثـرةُ العـدِّ منهـ
ثم ولَّت والـرُّعبُ حَشْـو حَشـاهـا

أذعنـوا للقنـا وبـالعجـزِ قـرُّوا   ثمّ فـرُّوا وأين يُـنجـي الْمَـفَـرُّ
ولئـن قبـلَهُ على الـجُبـنِ قـرُّوا   وقَفـوا وقفـةَ الـذليـل وفـرُّوا
من أسـودِ الشرى فِـرارَ مَهـاهـا

ضـاقَ رُعبـاً عليهم كـلُّ رَحب   إذْ رَمَتْهم تلك الصفـوف برُعب
فتـوارَوا في كـلِّ كهفٍ وشِعْب   وعَلِيٌّ يَـلقـى الألـوفَ بـقـلب
صـوَّر الله فيـه شَكْـلَ فَنـاهـا

كم قبيـلٍ أفنَى بمُـرهفِ حَـدٍّ   وقـرُونٍ مـا ليس تُحصى بِعَـدِّ
وبـذاك استولى على كـلِّ مجـد   إنمـا تفضِـلُ النُّفـوسُ بِجـدٍّ
وعـلى قـدرِهِ مـقـامُ عُـلاهـا

سيفُـهُ مثلُهُ بـيـومِ ضِـرابِ   ذو لسـانٍ أولَى بكـلِّ صـوابِ
فـاصلٌ فيـه فصلُ كـلِّ خطابِ   لـو دَعَتْ كفُّـه بغيـرِ حِـرَابِ
أجَـلَ الخلق لاَسْتَجابَ دُعـاهـا

منـه كم لاحَ للنَّجـاح صبـاحُ   واحْـتَبَـتْ من نَـوالِـهِ أرواحُ
بحـرُ فيضٍ للعـالمينَ مُبـاحُ   لـو تـراهُ وُجُـودُهُ مُـستبـاحُ
قبـل كشفِ العُفـاةِ سِـرَّ عفـاهـا

لرأيت الجدبَ المصـوِّح خِصْبا   والصفـا الصَّلد منه أنبت عُشبـا
أو تَرى رشحهُ وقد فاض سَكْبـا   خِلتَ من أعظم السحائب سُحْبا

سَقَت الـرَّوضَ قبل مـا استسقـاهـا

ذو يمينٍ من فيضها الكونُ مُترعْ وجبينٍ شمسُ الهدى منه تـطلعْ

فهــو للنيِّراتِ أشــرفُ مَــطلعْ وهــو للدَّائــراتِ دائــرةُ السَّعْـ

ـدِ أَلَا ســاءَ حظُّ مَــنْ نــاواهــا

بِحِمَـاهُ يُحْمَى الوجـودُ ويُسْعَفْ والسَّماوات فيه كالذَّر في الكَفْ

كم له وهو في الـوجودِ تصـرُّف هِممٌ لا تَــرى بـهــا فَلَكَ الأفـ

ـلاكِ إلَّا كــحـبَّــةٍ فــي فَـلاهــا

خيـرُ آسٍ للدِّين داوَى هُمـومــا وجَــلا عنـه للغُمــومِ غُيـومــا

ومِنَ الكـون كم أسَـا مَحْمُـومـا لم يَـدع ذلـك الـطبيبُ كُلُومـا

قـد أسـاءتْ بـالـدهـر إلّا أسـاهــا

بحــرُ جُـود أحــاطَ بـالإيجــادِ غـامِراً مـا استكنَّ أو هـو بـادي

فغَـواديـهِ لم تَــزِنهـا الغــوادي وأيــاديــهِ لم تُقَس بــالأيــادي

أين مــاءُ العيــونِ من أصــداهــا

ذُو معالٍ عُلى السَّماوات تطوي ونـوالٍ ظَما الـوجُـوداتِ يـروي

وهو مع صِدق رُمحه حيث يَهوي صادقُ الفعلِ والمقـالةِ يَحـوي

غُــرَّةً مـثــلُ حُسنِهِ حُسـنــاهــا

طَـرْفُـهُ للعــدَى لمحنيٍّ عـطفِ جَــرَّدَتْــهُ يــدُ القضــاءِ بـكفِّ

لم يزل سهمُ سُخطهِ حِلف حتفِ كم رمى بهمـةً بلحـظةِ طــرفِ

كــان ميقــاتُ حتفــه مَــرمــاهــا

كم أرى البـدر بين بأس حُنيني قـرشيٌّ في حـدِّ عضبٍ يمــاني

منه إذ فصَّل المفاصل مَحني　خَاطَ للعنكبوتِ نسجَ الزُّديني
وأبيَّات عزمهِ أوهاها

مُذْ مَحت للهدى يدُ الغيِّ رسما　والثَّرى أشحنتْ ضَلالاً وظُلما
قَوَّمَ الحقَّ بعدما ساخَ هدما　وأقام الجَهول بالسيفِ رُغما
هل تقومُ الدنيا بغير ظُباها

لم يزل للأمين طَهَ أمينا　ووزيراً وناصراً ومُعينا
ومُفيضُ الفيوضِ حيناً فحينا　باسطٌ عن يد الإلَه يمينا
يُرسِل الرِّزقَ للعبادِ عَطاها

بحرُ جُودٍ مُفيضُ بيضٍ أيادِ　مُستَمدٌّ من فيض رَبٍّ جوادِ
قابضٌ من عُلومهِ بغوادِ　قابضٌ عن جلالهِ بجلادِ
لو بدَت صُورةُ الرَّدى أرداها

سخَّر اللهُ فيه كلَّ البلادِ　وإليه انقادت جميعُ العبادِ
إنْ لديه انقادت صعابُ القيادِ　رُبَّ صعبٍ من جامحات العوادي
قادهُ من يمينهِ إيماها

لِحَبيبِ الإلَه خيرُ حبيبِ　وَلِمُضْنَى الرَّشاد أيُّ طبيبِ
إنْ له القُرصُ عاد بعد مغيبِ　قد أعاد الْهُدى وغيرُ عجيبِ
أن يُعيدَ الأَشياء مَنْ أبداها

ذو حُسامٍ منه بنو الشرك خُصُّوا　بحمامٍ وفيه قد جاء نصٌّ
حَسَّم الموت فارتأى منه شخصٌ　بأبي مُنشيء الحوادث كم صُو
رَة حتفٍ بِزجرهِ أنشاها

مـلأ الكـائنـاتِ يُسـرى ويُمنى   سيفُـه والسِّنـانُ ضَـربـاً وطعنـا
إنْ تَرَ الـرُّعب منـه للعُـرب أفنى   كـانت العُـرب قبـل قـوَّةِ يُمنـا
هُ عـروقـاً لا تَـلتـوي فَـلوَاهـا

رَحمةً للأنـام قد صـاغهُ الـربْ   وعذاباً على ذويْ الكُفر مُنْصبْ
كم رمـاها سهـامَ حتف فأغـربْ   وأراهـا طعنـاً يَفُـلُّ عُـرى الصَّبْـ
ـرِ وضَـربـاً يَحُـلُّ عَقْدَ عُـراها

مـزَّقتهـا ظُبـاهُ كُـلَّ مُمـزَّقْ   وبهـا جمـعُ شملهـا قـد تفـرَّقْ
ولـكم جيـدُهـا بهـنَّ تـطوَّقْ   فاستعاذت من ذاك بالهربِ الأقْـ
ـصَى لتنجـو بـه فمـا أنجـاهـا

ليس ترجومَنجىً من السيف مُنجي   لا ولا ملجـأٌ من الحتفِ يُلجي
حِيـل مـا بينهـا وبين التـرجِّي   لا تَخَـلْ مهـربَ الجبـان يُنْجِّيـ
ـهِ إذا مـدَّت المنـايـا خُـطاهـا

فئـةٌ أغْضِبُوا وكسبُ يـديهم   جَلَبَ الـذُّلّ أين حـلُّوا إليـهم
فهـو لا غـرو إن أقـامَ لَـدَيهم   جـرَّ طغـواهُم الـوبـالَ عليهم
رُبَّ قـومٍ أذلَّـهـا طَـغـواهـا

قد أماطَ الدُّجى عن الدِّين رأيُ   دُونـه الشمسُ بـالضِّيـاءِ وسعيُ
ولَكَم قبـل ذاك والـدهـرُ غيُّ   كـان مِلْء الثَّرى ضـلالٌ وبغيُ
لكنِ الـسيـف منهمـا أخـلاهـا

كم بنـاءٍ من ثُلَّة الشـرك ثَـلَّا   بحُسـامٍ ماضي الشَّبـا لن يُفَـلَّا
أروعٌ كم كَسَـا ذَوي الـغيِّ ذُلَّا   لـم تَفُـهْ مِـلَّةٌ من الـشِّـرك إلَّا

فَضَّ بـالـصـارم الإلهـيِّ فَـاهـا

كم بـأرواحهـا أحـاط حِمـامُ   قـوّضت فيه للنُّفـوس خيـامُ

فمحـاهـا حـامي الـذِّمام إمـامُ   وطـواهـا طيَّ السِّجـلِّ همـامُ

نَشَـر الحـربَ علمـهُ وطـواهـا

كم بصمصـامـهِ أبـادَ مُضِـلاَّ   وبـه كـم كَسَـا اللَّوابـد ذُلاَّ

إنْ سِـوَاهُ عن أَكْبُدِ الْغَيِّ ضَـلاَّ   لم يَـدَع سيفُـهُ حَشَـاً قَطُّ إلاَّ

وبـفـوَّارةِ الـغـليـل حَشـاهـا

قُـل لمن حـادَ عن رشـاد لغيٍّ   وتَعـامى عن فضـل أيِّ كَمِيِّ

إن عَـدا ناظـريك بـأسُ عَلِيٍّ   سَلْ كُماةَ الأبـطال مِنْ كُلِّ حَيِّ

غـيـرُ ذاك الكـميِّ مَـنْ أفـنـاهـا

قـد رأى صُـورةَ الهُـدى مَن رآهُ   وأتـى بـابَ عِـلْمِـه مَـن أتـاهُ

مَن عن الغيب قـد أماطَ غِـطاهُ   كم عَـرى مشكلٍّ فَحَـلَّ عُـراهُ

لـيس للمُـشـكـلاتِ إلاَّ فـتـاهـا

هـل أحـاطَ الـوجـودُ في معنـاهُ   هل حوى الذِّكر غيـر ذكر عُـلاهُ

هــل حَلَتْ سـورةٌ بغيـرِ حُـلاَهُ   هل أتت (هَل أتى) بمدح سواهُ

لا ومـولـىً بـذكـره حـلاَّهـا

هــو روحُ العلومِ أُجْهِـلَ كُنـهُ   منـه والـرُّوح عُلِّمَ العلمُ منـهُ

ذلـك الـذِّكـر عنه إن تسـأَلَنـهُ   فتـأمَّـل بـ(عَمَّ) تَنْبَئْـكَ عنـهُ

نـبـأ كـلِّ فـرقـةٍ أعـيـاهـا

تجدُ الأَرضَ والسّما في التحيُّـرْ   والبـرايـا عن دَرْكِ معنـاهُ تَقْصُـرْ

فَهْيَ غـرقَى بكُنهِـهِ في التّفكُّــرْ   وبمعنَى (أحبَّ خَلقـكَ) فانـظُرْ

تجـدِ الشمسَ قـد أزاحت دُجـاهـا

كـلُّ جُودٍ لـدى الوجـودات منـهُ   وَلِكُنْـهِ النَّــدى أيــاديــه كُنــهُ

سَـلْ دُهـوراً حَيـاتُهـا من لـدنـهُ   واسـألِ الأعصُرَ القـديمـةَ عنـهُ

كيف كــانت يـداهُ روحَ غِـذَاهــا

فَصَّـلَ اللهُ فيـه مـا كـان أجمـلْ   في نَبِيِّ الْهُـدَى وللدِّين أكمـلْ

فهـو كنزٌ كم اغتنى فيـه مُرْسَـلْ   وهـو عَلاَّمَـةُ المـلائـكِ فـاسـألْ

رُوحَ جِبـرِيـلَ عَنــهُ كيف هَـداهــا

من لـروحِ الْهُـدى هَـداهُ مُعِـدّا   وبـنـفس الـنَّــدى نــداهُ مُفَدَّى

وهــو مــا زال للوجُــود مُمِــدًّا   بـل هو الـرُّوح لم يَزل مُستمـدّا

كــلّ دهــرٍ حيــاتُــهُ من قــواهــا

هــو نفسُ الْهُــدى وذاكَ سَنــاه   بعيــون الــورى عِيــانــاً تــراهُ

وبــأشكــالهــا بَــدَا معـنــاهُ   أيُّ نـفسٍ لا تهـتــدي بهُــداهُ

وهــو من كـلِّ صــورةٍ مُقْلَتَــاهــا

آيـةُ الله في الورى فـاقتصـدْهـا   وتتَّبــع آيــاتِهــا واعتـمــدْهــا

هي نفسُ نفسَ النبيّ اعتقـدْهَـا   وتفكّــرْ (بـأنت منّي) تجــدْهَـا

حكمــةً تُـورث الــرُّقـود انتبـاهـا

هــو هـارون رُتبــةً فـاعــرِفـوهُ   ووزيــرٌ لــه فـلا تـنـكــروهُ

ووصيٌّ من بـعــدهِ فــانصــروهُ   أَوَ مـا كـان بعـد مـوسى أخــوهُ

خيــرَ أصحـابــهِ وأعـظمَ جـاهــا

فـاقَ منـه كُنـهَ النبيِّين كنهُ وسـوى أحمد فتىً لم يـزنـهُ
فهـو منه كنفسـهِ نـابَ عنـه ليس تخلُو إلاّ النبـوّةُ منـهُ
ولهـذا خيـرُ الـورى استثنـاهـا
ليس إلاَّ لَـهُ الـولايـةُ تَجْمُـل وهـو المُقتـدىٰ وفيه التـوسُّـل
وهـو ثـانٍ لعـدَّةٍ فيـه تكمُـل وهوفي آية التَّباهُل نـفـسُ الّـ
ـمُصطفَى لَيْس غيـرهُ إيَّاهـا
سَلْ إذا ما جهلتَ منه مَحلاًّ مَنْ على كلّ ذي وجُودٍ تـولّى
و(بأكمَلْتُ دينكم) مَنْ تحلّى ثمَّ سَـلْ (إنّمـا وليّكم اللّـ
ـهُ) تـرى الإعتبـار في معنـاهـا
ذاك رمزٌ بحيدرِ الطُّهر جُـلاَّ بـل وعِقـدُ حـلاَّهُ للدِّين حلَّى
وَلَكمْ قـد أتت وليـلٌ تـجلَّى آيـةٌ خَصَّت الـولايـةَ لِـلّـ
ـهِ ولـلنَّـدبِ حيـدرٍ بعـد طـهَ
آيـةٌ كـلُّ مِنحـةٍ تحتـويهـا آيـةٌ كـلُّ مِـدحـةٍ لا تَفيهـا
آيـةٌ قـد سَمت عُليً بـذويهـا آيـةٌ جـاءتِ الـولايـةُ فيهـا
لثلاثٍ يَعدو الهُدى من عَداهـا
رُبَّ خُسـرٍ يـأتي عقيب نجاحٍ وفسـادٍ يتـلوهُ أيُّ صَـلاحٍ
فبقلعِ الميـزابِ أيُّ افتضـاحٍ وبِسـدِّ الأبـواب أيُّ افتتـاحٍ
لكُنـوزِ الهـدى فَفُـزْ بِغِنـاهـا
مَن بماضي الشَّبا عُرى الشِّرك فَلاَّ مَنْ سـواهُ أمـرَ النبيَّ تـولَّـى
مَنْ فَـداهُ، وبـالمبيت استقـلاَّ مَن تـولَّى تغسيل سلمـان إلاَّ

ذاتُ قُدسٍ تَقدَّست أسماها

شَمَلَ العالَمِينَ ميتاً وحيًّا بأيادٍ طوتْ (إياداً وطيًّا)
وبطيِّ الزَّمانِ ضاهى النبيَّا ليلةً قد طوى بها الأرض طيًّا
إذ نأت دارُهُ وشطَّ مَداها

جاء في مُعجزٍ سَما كلَّ مُعجزْ قُل به ما تَشا فأطنِب وأوجزْ
وعجيبٌ لكلِّ أمرٍ يُنجَزْ وابنُ عفّان حولَهُ لم يجهِّز
هُ ولا كفَّ عنه كفَّ أذاها

صَدَّ عن نصرهِ وأعرضَ سَمْتَا فأحاطت به قبائلَ شتَّى
وهو لو شاءَ شتَّها لأشتَّا لستُ أدري أكان ذلك مَقتا
مِن عليٍّ أم عِفَّةً وَنَزاها

وهو عنه النورُ القديمُ تفرَّقْ والهدى للأنامِ فيه تحقَّقْ
بل ومِن شمسِ رُشده الصبحُ أشرقْ فلكٌ لم يزل يدورُ به الحق
قُ وهل للنُّجوم إلا سَماها

أيُّ منٍّ للهِ في الخلقِ جَمِّ جَلَّ عن وصفهِ بكيفٍ وكمِّ
يومَ بعثِ الهادي بفضلٍ أعمِّ وبخُمٍّ ماذا جرى يومَ خُمِّ
تلك أُكرومةٌ أبت أن تُضاهى

فأبتهَا قومٌ على الكفرِ كانتْ إذ أجابت داعي الهُدى ثمَّ خانتْ
يومَ صدَّت عنه وللغيِّ دانتْ ذاك يومٌ من الزَّمانِ أبانتْ
مِلَّةُ الحقِّ فيه عن مُقتداها

إذْ أفاضت عن العليم عُلوما شفةٌ قد شَفت وأبدت كُلوما

من حروفٍ غدت هُدىً ورُجوما   كم حوى ذلك الغدير نجوما

ما جرت أنجمُ الدُّجى مجراها

فهدى نورُها لكلِّ رشادِ   وحَوت كلَّ سؤددٍ وسَدادِ

وبها للهُدى حَبذَا خيرُ حادِ   إذ رَقى منبر الحَدائِج هادِ

طاول السبعةَ العُلى بِرُقاها

كم أتاهُ جبريلُ في خَلواتِ   بأُمورٍ أهمَّ من صلواتِ

فاغتدى والهجيرُ في عَلواتِ   موقفاً للأنامِ في فلواتِ

وَعِرَاتٍ بالقيظ يَشوي شَواها

واعِظاً فيهم بأحمدِ رأيِ   داعياً للهدى بأكرمَ هَدْيِ

طالباً رُشدهم بأعظمَ سعيِ   خاطِباً فيهم خطابةَ وحيِ

يرث الدينَ كلَّهُ مَن وَعاها

قامَ فيهم مُبلِّغاً في عليِّ   أيُّ نَصٍّ عن العليِّ جليِّ

قائلاً وهو فخرُ كلِّ نبيِّ   أيُّها الناس لا بقاءَ لحيِّ

آن مِنْ مُدَّتي أوانُ انقضاها

جئتكم في كواكبٍ من مَقالِ   داعياً للهدى مُبيرَ ضَلال

من إلهٍ مُهيمنٍ مُتعالِ   إنَّ رَبَّ الورى دعاني لحالِ

قبل أن يخلُق الورى أقضاها

مَن وَعاها ارتضاهُ فعلاً وقولا   وحَبا مَن أجاب فضلاً وطَولا

وكفاهُ يومَ القيامةِ هَولا   أن أولي عليكم خيرَ مولى

كلَّما اعتلَّت الأُمورُ شَفاها

قــد بــراهُ لــيَ الإلَــهُ وصيّــا ولــه جـلَّ مـن عــطوفٍ وليّــا
أســـداً بــاسِــلاً ونَــدْبــاً أبيّــا سيِّـــداً من رِجـالكم هــاشميّــا
صـافحتـهُ الْعُلى فــطابَ شَـذاهــا
أعـظمُ الرُّسـلِ والنبيِّين جـاهـا أشـرفُ العـالمين من بعـدِ طَـه
المبينُ الـذي بـه الـذِّكْـرُ فـاهـا صـالـحُ المؤمنينَ سِـرُّ هُـداهــا
عــظَّمَ الــذِّكــرُ نفســه فكَنَــاهــا
ذو معــالٍ على البـريَّـةِ سـادتْ وَعـوالٍ رُكنَ الهـدايــةِ شـادتْ
ويَـدٍ بالـوُجـودِ والجـودِ جـادتْ صـاحبُ الهمَّـة التي لـو أرادتْ
وَطَــأت عـاتقَ السُّهى قــدمــاهــا
وأتى الــوحيُ يقــظةً لا بنـــومٍ فُه حبيبي لا تخشَ من كلِّ لَوْمٍ
بـأُمـورٍ قــد نغَّصت كـلَّ نـــومٍ وتــطيَّــرت من مَقــالــةِ قــومٍ
قــد غَلا بــابن عـمِّــهِ وتَنــاهَــى
وتــأمَّلتُ إذ خشيتُ الــدَّواهـي من طَغامٍ نِفاقُهم مُتناهي
كم عَتَت عن أوامــرٍ ونــواهـي فــأتـتني عــزيمــةٌ مـن إلَهـي
أوعــدتْـنِي إنْ لـم أبلِّغ سُــطاهــا
فـرأيتُ التبليـغَ لـلأمـرِ أسـدَى وهـو للعـالمينَ أهـدَى وأجـدَى
وتــطلَّبـت للسَّــلامــةِ نـجـدا فهــداني إلى التي هيَ أســدى
وحــبــاني بـعِـصـمــةٍ مـن أذاهــا
أسـرِعـوا للنجـاح بعـد التـأنِّي وخـذوا الـرُّشـد والهـدايَـةَ منِّي
واشكــروا لــلإلَـه أعــظمَ مَنٍّ أيُّهـا الناسُ حـدِّثـوا اليـومَ عنِّي

وَلْيُبَلِّغْ أدنى الـورى أقصـاهـا

فاسمعوا تُرشدوا ولا تعصوا قولا   وأطيعـوا يـزِدكُمُ اللهُ طَـولاَ

أوَلستُ الـذي بكم أنـا أُولـى   كـلُّ نفسٍ كـانت تـرانِيَ مَـولى

فَلْتَـرَ اليـومَ حيـدراً مَـولاهـا

ولْيَفُـزْ بـالـنعيم فـي دارِ خُلدِ   ذُو ولاءٍ مـن كـلِّ حُـرٍّ وعبـدِ

ولـيُـؤدِّ أمـانـةً مَن يُؤدِّي   ربِّي هـذا أمـانـةٌ لـك عنـدي

وإلـيـك الأمـيـنُ قـد أدَّاهـا

فـاهدِ يـا رب في وِلاهُ الْمُضِـلَّا   وارعَ من يَرعى فيه عهـداً وإلَّا

وإذا ضَـلَّ مـن سـواهُ تـولَّـى   والِ مَن لا يـرى الـوِلايـةَ إلَّا

لـعـليٍّ وعـادِ مـن عـاداهـا

فعلى غُـلِّ معشرٍ بغيُهـا غُـلْ   ومَشى في أُنوفِ أحقادِهـا الذُّلْ

ورأوا لا يُـفيـدُ فـيهـا الـتعـلُّلْ   فـأجـابـوا بخٍ بخٍ وقلوبُ الْـ

ـقـومِ تَغلِي على مَغـالي قِـلاهـا

كتَمُـوا أمـرهُم وللسِّلم ألقَـوا   إذ شَقَـوا أنفُسـاً وللنـاس شَقُّـوا

إن أجـابـوا زُوراً وللحقـد أبقَـوا   لم تَسَعهم إلَّا الإجـابـة بـالقـو

لِ وإن كـان قصـدُهم مـا عَـداهـا

زادَهُم كـربُهم عَـويـلاً ونَـوحـا   إذ نفى عنهمُ الْمُـهيـمنُ رُوحـا

وبكُـرهٍ رَضُـوا بمـا فيه أُوحى   ثمَّ لَمَّـا مضى القضـاءُ بِـرَوحـا

نـيَّـةِ الكـونِ وانـقضى رَيَّـاهـا

ولهم مِـلَّةُ الضـلالِ أبـاحـتْ   نقضَ عهـدٍ لـهُ حُقـوداً أتـاحتْ

وذَوُوها على الهدى مُـذ تلاحتْ   وجدوا فرصةً من الدهـرِ لاحتْ

فـأصـابت قُلوبـهمْ مُشتـهـاهـا

أنكــرت نصَّ ربِّهـا أشقيـاهــا   في عليٍّ والمصـطفى فيهِ فـاهـا

ولكم أوَّلـت حـديثـاً أتـاهــا   قُـل لمن أوَّلَ الحديثَ شَفـاهـا

وهـو إذ ذاك ليس يـأبى السَّفـاهـا

يَحسبُ المصطفى وما ضلَّ سعيا   تـرَكَ السعي يَتلُو للنـاسِ وحيـا

للذي لا يُفيـد في الدِّينِ هَـديـا   أتــرى أرجـحُ الخـلايق رأيـا

يُمسكُ الناسَ عن مَجـاري سُراهـا

جـامعـاً لـلأنـام من كـلِّ شعبِ   قــائــلاً إنَّ ذاكَ مـن أمــر ربِّي

مـاسكاً كفَّ حيـدرٍ خيرِ نَـدْبِ   راكبــاً ذروةَ الحـدائــجِ يُنبـي

عن أُمـورٍ كـالشمسِ رَأْدَ ضُحـاهـا

كـادَ قومٌ والـربُّ قـد كـاد كيـدا   وكفى بــالجحيم سِجنـاً وقيــدا

قُل ودَع في الأنامِ عمر اً وزيدا   أيُّهــا الـراكبُ المُجـدُّ رُويــدا

بـقـلوبٍ تـقـلَّبــت في جَــواهــا

أمَّ يَطوي الفلا على ذاتِ أربـعْ   يتخـطَّى عن مَربـعٍ بعد مَـربـع

قـاصداً تُـربةً بهـا الضـرُّ يُـدفـعْ   إن تراءت أرضُ الغريين فاخضعْ

واخلعِ النعـلَ دون وادي طُـواهــا

أو بَــداوللسنى بسينــاء مَــطلع   ولعينِ الحيــاة في النـور مَنبــع

فـابتهِـلْ وانتهـلْ وطُفْ وتَـطوَّعْ   وإذا شُمتَ قبَّــةَ العــالمِ الأعْـ

ـلَى وأنــوارِ ربِّــهـا تـغـشـاهــا

فـاعتمـدْ للنبيِّ أعـظمَ رمسٍ فيـه للطُّهـر أحمـد أيُّ نفسٍ
أو تَرى العرشَ فيـه أنورَ شمسٍ فتـواضَـع فـثمَّ دارةُ قـدسٍ
تتمـنّى الأفـلاكُ لَثْمَ ثـراهـا

وَاسْـعَ عَنِّي فـأنت أيُّ حقيقٍ بِـوفـاءٍ بـالفضـل خيـرُ عـريقِ
وإذا نُـبْـتَ عـن أخٍ وشـقـيـقِ قـل لـه والـدموعُ سفـحُ عقيقِ
والحشـا تصـطلي بنـارِ غَضـاهـا

لـك جُـودٌ على الـوجـودِ أطـلاَّ وعُـليً جـلَّل السَّـمـاءَ وجَـلاَّ
إن عمرَت الأشياءَ فيضـاً وفضلا يـابن عمِّ النبـيّ أنت يـدُ اللّـ
ـهِ التـي عـمَّ كلَّ شَيْءٍ نَداهـا

يا عليّاً عن الظُّنونِ وأقصى ووصيّاً مُحَـمَّـدٌ فيه أَوصى
بك كلُّ الأشياءِ ذو العرش أحصى أنت قـرآنُـهُ القـديم وأوصـا
فُـك آيـاتُـهُ الـتـي أوحـاهـا

لـك فضلٌ بـأحمدَ الـطُّهـرِ مَتَّـا وعُلىً بتَّ عـزمـةَ الـوهم بتَّـا
عنـك إن كلَّت الوجـوداتُ نعتـا حسبُـك اللهُ من مـآثـرَ شتَّـى
هـي مثـلُ الأعـدادِ لا تَـتنـاهـى

حُبُّك الرَّوض فيـه للدِّين مرعى راقَ طرفُ الهدى وشنَّف سمعـا
ضـاق في وُسعهِ معـاذيـلُ ذرعـا ليت عينـاً بغيـر روضـكَ تـرعى
قَـذِيَت واستمـرَّ فيـهـا قـذاهـا

جُمعت في عُلاك خيرُ السجـايا وحَبـاكَ الإلـهُ فصـلَ القضـايـا
أيُّهـا المـرتضى بغُـرِّ المـزايـا أنت بعـد النبيِّ خيرُ البـرايـا

والسَّمـا خيرُ مـا بهـا قَمَـراهـا

أنت مـولىً لمن لـه هـو مَـولى   بـل وأولى بمن بـه هُـو أولى

مـاثَلتْهُ عَليـاكَ فعـلاً وقـولا   لـك ذاتٌ كـذاتـهِ حيثُ لـولا

أنَّـهـا مثـلهـا لـمـا آخـاهـا

أنتُمـا تَـوأمَـا عُـليً وجـلالِ   قـد تـرعـرعتُما بحِجْـرِ كَمـالِ

وَلَكم في القـديم قبل فِصـالِ   قـد تـراضعتُمـا بثـديٍ وصـالِ

كـان من جـوهـر التجلّي غِـذاهـا

بمعـاليكَ جُملةُ الخلق فـاهـوا   وبمعنـاك أكثـرُ النـاسِ تـاهـوا

لـك فضـلٌ لم ينحصِـر أدنـاهُ   يـا عليَّ المقدارِ حسبُك لاهـو

تـيَّـةٌ لا يُحـاطُ فـي عَـليـاهـا

لـك مجدٌ أعيتْ معـاليـهِ وَهمـا   وتسامت عن أسهُم الظنِّ مـرمى

لستُ أدري وقـد تعاليتَ عُـظما   أيُّ قُـدسٍ إليـه طبعُـك يُنمى

والمـراقي المقـدَّسـاتِ ارتقـاهـا

لك نورٌ يبدو على الناسِ في غت   ومجـاري فضلٍ خَلت وأُسيغت

يـا لطيفـاً أقـوالـه مـا أُزيغت[1]   لك نفسٌ من معدنِ اللُّطفِ صِيغت

جـعـل الله كـلَّ نـفس فـداهـا

كم بِها الله قد كفى الكون هَولا   وبهـا منَّ بـالـوجُـودِ وأولـى

هي نفسُ الفيضِ الذي عمَّ طَولا   هي قُـطبُ المكـوَّنـات ولـولا

(١) تخميس هذا البيت للمرحوم الشيخ محمد السماوي.

هـا لما دارتِ الـرَّحى لـولاهـا

جُودُها في الأكوانِ ما زال يسري وهي للكائنات بـالفيضِ تَقري
فـالوُجـوداتُ كلُّهـا بـك نـدري لـك كفٌّ من أبحُـرِ الله تَجـري

أنـهُـرُ الأنـبيـاءِ مـن جَـدواهـا

لم تـزل بـالتـوحيـد قلبـاً مُنيـطا وبقلبِ الإشـراكِ سهمـاً مَخيـطا
وغـطاءً عن الغيـوبِ مُميـطا حُزتَ مُلكاً من المعـالي مُحيطا

بـأقـاليمَ يسـتحيـلُ انتهـاهـا

غَـمـر الـذرَّ من أيـاديـكَ ذرٌّ فـاقَ منـه دَرَّ السحـائبِ درٌّ
أنت يا من منه سَمَا الفخرَ فخـرٌ لـيس يحكي دُرِّيَّ فـخـرك دُرٌّ

أين مِن كُـدرةِ الميـاهِ صَـفـاهـا

بك فيضُ الباري بستٍّ جهـاتِ فـاضَ حتى أُحيـا رميمَ رُفـاتِ
وقضى بـالحيـاة بعـد ممـاتِ كلُّ ما في القضاء من كائناتِ

أنـت مَـولَى بـقـائهـا وفَـنـاهـا

أنـبـأتْ عنـك لـلعُلى أنبـاءُ مـلأ الكـائنـات منهـا عَـلاءُ
إنْ على اللَّيـلِ من ذكاهـا سناءُ يـا أبـا النيِّـرَينِ أنت سمـاءُ

قـد مَحَا كـلَّ ظُلمـةٍ قَمَـراهـا

إنْ على الكـون دَرَّ كفُّك بـالنَّـو وأخاف الأُسودَ رُعبُـك في الدَّو
أنت يا من عن الهُدى كشف السُّو لـك بأسٌ يـذيبُ جـامـدة الكَـو

نَـيْنِ رُعـبـاً ويُجـمـدُ الأمـواهـا

لـك بأسٌ بـأعُين الحتف يُعظَم وسنانٌ سهمُ الرَّدى منه أسهـم

إنْ قـوامٌ زانَ الـدُّمى وتبسَّم زان شكلَ الوغى حُسامُك والرُّمـ
ـحُ كـمـا زان غـادةً قُـرْطَـاهـا
أيُّ سيفٍ على الـرِّقـابِ تـولَّى وبمحقِ المنـافقين استقـلاَّ
ومن الشِّـركِ فيـه أين تَـولَّى مـا تتبَّـعتُ مـعشـراً قطُّ إلاَّ
وأنـاخ الـفَنـا بـعقـرِ فِنـاهـا
مُـذْ جَلا للوغى حسـامُك ليـلا خُضتَ بالخيلِ من دم الشرك سيلا
نعلُها الهـامُ حيث تُحسب ذيلا كلَّما أحفتِ الوغى لـك خيـلا
أنـعلَتهـا مـن المُلوكِ طُـلاهـا
لـك بأسٌ قـد راعهـا لم يسعْـهُ كـل وسعٍ رُعباً فـدَعها ودعْـهُ
وبـذاك الرُّعبِ الـذي لم تُضِعْهُ قُـدتَهـا قـودَ قـادرٍ لم تَـرُعْـهُ
أُمـمٌ غـيـرُ مـمكـنٍ إحـصـاهـا
جـاءت الرُّسـلُ والنبيُّون تَـروي عن عُلومٍ إلى معـاليك تَـأوي
كم حوت من عُليّ به العرشُ تطوي لـك ذاتٌ من الجـلالـةِ تحـوي
عـرشَ علمٍ عليـه كـانَ اسْتِـوَاهـا
مِلَلُ الكفـرِ كُنَّ من قبـلُ شتَّى غـرْبُ مـاضيـك فَلَّهـا وأشتَّـا
ولَنصـرِ الـرَّشـادِ وقتـاً فـوقتـا لم يـزل بانتصـارِك الـدِّين حتَّى
جـرَّدت كفُّ عـزمتَيـك ظُبـاهـا
فَلوى عـزمُـك الكتـائبَ لَيَّـا ورعيتَ الهُـدى وأرعبـت غيَّـا
وطـويتَ الإشـراك والغيَّ طيَّـا فـرفعت الـرَّشـاد فـوق الثـريَّـا
ووضعت الضـلالَ تحت ثَـراهـا

فيك كم للتوحيدِ أصبح رفْعُ بعد خفضٍ وعاد للشركِ قَلعُ
ومن الكفر كم تفرَّق جمعُ فاستمرَّتْ معالمُ الدين تَدعو
لك طُولَ الزَّمان فاغنمْ دُعاها

إن إليك انتهتْ جميعُ المزايا أنت منها طَلَّاعُ تلك الثنايا
أو بفضلٍ أويتَ غُرَّ السجايا إنَّما البأسُ والتُّقى والعطايا
حَلباتٌ بلغتَ أقصى مداها

بِنَداك الأكوانُ أيُّ رِتاعِ والوجوداتُ كلُّها بارتياعِ
إن مَلأتَ الأكوانَ غُرَّ مَساعِ لك من آدمَ القديم مَراعِ
أُمةً بعد أمةٍ ترعاها

كم لجدواكَ فيضُ فضلٍ سَكُوبُ ليس عن وِردهِ فتىً محجوبُ
إن تغطَّتْ بالْمَحقِ فيه عيوبُ يا أخا المصطفى لديَّ ذنوبُ
هِيَ عينُ القَذى وأنتَ جَلاها

أيُوازي ذَنبي رِياءُ عَفافِ وبعينيك كلُّ بادٍ وخافِ
إنْ دعاك العافي بصدِق اعترافِ يا غياثَ الصريخ دعوةَ عافِ
ليس إلَّاك سامعٌ نَجواها

يا أمانَ الجانين دانٍ وقاصِ من ذُنوبٍ منهنَّ ما من مَناصِ
أنت مَنْجىً لكلِّ جانٍ وعاصِ كيف تخشى العُصاةَ بَلْوى المعاصي
وبك اللهُ مُنقِذٌ مُبتلاها

فأجبْ دعوتي وأَنجِحْ سُؤالي وتفضَّلْ ومُنَّ بالإفضالِ
أنتَ في المجدِ والنَّدى ذو الجلالِ لك في مُرتقى الْعُلى والمعالي

درجـاتٌ لا يُـرتـقـى أدنـاهـا

قـد حَبـاك الإِلَـهُ فضـلاً وأَولى   من عُلَى القُرب ما به أنت أَولى
وبـإِلَّا إنْ فُهْتَ في الغيب أولا   عـرفت ذاتُـك القـديمـةُ مَـوْلا

كَ فـوحَّـدتَ في القـديم الإِلَّهـا

لا يـزالُ التـوحيـدُ خيـر لبـاسٍ   لـك والشِّـركُ للمُضِلِّين كـاسٍ
ضَلَّ من فيك قـاسهم بقيـاسٍ   أين معنـاك من معـاني أُنـاسٍ

كـان معبـودُهـا اتِّبـاعُ هـواهـا

خرَّقوا في الاسلام والدِّين خَرقا   ليس تُلفى له مدى الـدهر رَتقـا
فـامْهِلاَ مَنْ بباطـلٍ راضَ حقّـا   يـا خـليـلَيَّ إن للهِ خَـلْقـا

حسبُهـا النـارُ في غـدٍ تَصلاهـا

أشقيـاءٌ كم قـد أضلُّوا سبيـلا   لـلهـدى حيثُ قد أضلُّوا دليـلا
إنْ هُمُ بـالهُـدى أقـامـوا قليـلا   سَبَحوا في الضلال سَبْحاً طويلا

وعلى الـرُّشـد أُكْـرِهُـوا إكْـرَاهـا

هم طَعـامُ شقَوا نفـوساً وأشقَـوا   وَغِشـاً داجياً على الـدِّين أَلْقَـوا
ومساوٍ لم تُنسَ في الدهـر أبقَوا   إن تنـاسيتُمـا السقيفـةَ والْقَـو

مَ فـإنّـي واللهِ لا أنسـاهـا

إذ أتت والقُلُوبُ بـالغـلِّ تَغلي   شـرُّ قـومٍ يَقْفُـوهمُ شـرُّ نسـلٍ
بـاجتماعٍ على الضـلالةِ تُـدلي   يـوم خُطَّت صحيفـةُ الغيِّ يُمليـ

ـهَـا عليها خِـداعُهـا ودهـاهـا

هي شـرٌّ وهـل من الشـرِّ يـأْمَنْ   مَن على خيرها استـدلَّ وبَرهنْ

قُل لمن باجتماعِهم رُشدُهُم ظَنْ   ما اجتماعُ المهاجرين مع الأنْـ
ـصَارِ فيها وقد عَلت غَوغاها

وعليهم منهُم أشارَ مُشيرُ   بأميرٍ والبدرُ فيهم منيرُ
فتعامَوا عنه وضلَّ كثيرُ   حيث قالوا مِنّا ومنكم أميرُ
ووزيرٌ يُديرُ قُطبَ رَحاها

ورأوا أن سعيهم غير مُجدِ   لاتِّفاقٍ في كلِّ حَلٍّ وعَقدِ
فاستقالوا لعجزِهم لا لرُشدِ   وأرادوا لها تدابيرَ سَعدِ
فارتضاها بعضٌ وبعضٌ أباها

وأضلَّت للرُّشدِ كلَّ طريقِ   إذ نفتْ مَن بالحقّ أيُّ حقيقِ
إنْ تراها حَلَّت بكلِّ مضيقِ   أتراها درتْ بأمرٍ عتيقِ
فلماذا في الأمر طال مِرَاها

تَركوا للهُدى إماماً مُبينا   ولِغاوٍ في الغيِّ أعطوا يَمينا
قُل لمن صَيَّرالْخَؤُونَ أمينا   إن تكُنْ بيعةُ الصحابةِ دِينا
لم يحل عن محلِّها أتقاها

سابقٌ في الخيراتِ مُجري يدَيها   حاضرٌ أمرَها شهيدٌ عليها
يبصرُ القومَ يُسرعون إليها   كيف لم يُسرع الوصيُّ إليها
وهو بابُ العُلومِ بل معناها

وعليهِ نصَّ النبيُّ وصرَّحْ   وأبانَ الرَّشاد فيه وأوضحْ
بحرُ علمٍ على الوجوداتِ يطفحْ   كيف لم تُقْبَلِ الشهادةُ من أحْـ
ـمَدَ فيه بأنَّه أقضاها؟

هُوَ نِعمَ الرَّاعِي لبِئسَ الرَّعايا   عن قضاهُ مالَتْ لسوءِ القضايا
حيث فيهم خَطَتْ لسودِ الخطايا   بيعــةٌ أورثتْ جميــعَ البــرايــا
فتنـــةً طــال جنــورُهــا وجَفـاهـا

أَهْيَ تلك النارُ التي اقتسموها   أم هي الجنةُ التي حُرِموها
أم هي الفُرصةُ التي اغتنموها   بل هي الفلتةُ التي زعمــوهـا
كُفِي الـمـسـلمــون شــرَّ أذاهــا

كم صـريـحٍ للحقِّ قـد غيَّـرتْـهُ   ومُضلٍّ في الـدِّين قـد وقّـرتْـهُ
فَهْيَ إنْ تَـدرِ بـالــذي أمَّـرتْـهُ   يـا تَرى هـل درَت لمن أخَّـرتْـهُ
عن مقــامِ العُلى ومــا أدراهــا ؟

مُـذ أضلَّت مَن جَـلَّ عن تشبيهِ   كبني إســرائيــل حـلَّتْ بتيــهِ
فَهْيَ إن أخَّـرتـهُ والـرُّشـدُ فيــه   أخَّـرت أشبـهَ الــورى بـأخيــهِ
هــل رأتْ في أخ النبيِّ اشتبـاهــا

هِيَ أقصتْ أدنى الهُدى عن يَديها   وهي أدنت أقصى الضلالِ إليها
وَهْيَ قـد أمَّنت خَؤوناً لـديهـا   كيف لا تـأمن الأميـنَ عليـهــا
وهــو فــي كــلِّ ذِمَّـةٍ أوفــاهــا

أين مَن لم يـزل لـه الغيُّ بُــردا   من فتى لم يَجُزْ عن الرُّشد قصدا
فلَوِ استرشدُوا هُـدُوا فيه نَجْـدا   وَلَو انَّ الأصحابَ لم تعد رُشدا
كـان رُشـداً فِـرَارُهـا من عِــداهـا

ضـلَّ مَنْ قـال إنَّ طَـه تغـافـلْ   عن وصيٍّ من بعــدِه وتعــالَــلْ
إن يكُن ذاك فــالإلـهُ تَســاهـلْ   أنَبيٌّ بــلا وصيٍّ تـعــالَى الـ

ـلّهُ عَمَّـا يقـولُـهُ سُفَهَـاهـا

رَتَعُـوا في الضَّلالِ والغيِّ رتعـاً   واغتدوا كالسوام في اللهو ترعى
ثم باعوا بالخُسر في الدِّين نفعاً   زعمـوا أنَّ هـذه الأرض مَـرعى
تُــركَ النـاس فيــه تَـرْكَ سُــداها

مُـذْ إلَـهُ العبـادِ لـلأرض كـوَّنْ   بنبـيٍّ على البـرايـا تـحنَّنْ
ومـتى عُـيِّـن الـوصـيُّ تـعيَّـن   كيف تخلو من حُجةٍ وإلى مَـن
تـرجعُ النـاسُ في اختلافِ نُهـاهـا

وأرى أهـل الغيِّ تُخطىءُ مـرمى   وبسهمٍ تــرى بـه فيــه تُــرمى
وأراهـا تـرى الصــواب فتعمى   وأرى السُّـوءَ للمقــاديــر يُنمى
فــإذاً لا فَـســادَ إلاَّ قــضـاهـا

يــا غُــواةً وكم لــديهم رَحيـمُ   وسَــوامــاً وليس فيهم عـليمُ
هـــل أراكم والغيُّ فيكم قــديمُ   قــد علِمتُم أن النبيَّ حكيـمُ
لم يَــدَعْ من أمــوره أُولاهـــا

أم فقـدتُم للدِّين فيـه التصـدِّي   أم لأحـكـام ربِّــه لــم يُـؤدِّ
أم عنِ الحقِّ جِـدْتُمُ بـالتحـدِّي   أم جهلتُمْ طُرق الصواب من الدِّ
ينِ ففــاتـت أمثــالكم مِـثْـلاهـا

أم عـلى مؤمـنٍ مُضــلٌّ تــولَّى   أم نـبيٌّ أضــلَّ قــومــاً وضَــلاَّ
أم وصيٌّ بـالـدِّينِ عنــه استقـلاَّ   هـل ترى الأوصيـاءَ يا سعـدُ إلاَّ
أقــربَ العــالمين من أنبيــاهــا

فاخشَ ربّاً بجاحِدِ الحقِّ يبطشْ   وتَـصـفَّـحْ أمـرَ الإلَـهِ وفـتِّشْ

هــل تراهُ على المُنيبين يَغـطش أو ترى الأنبياءَ قد اتخذُوا الْمُشْـ
ـرِكَ دهــراً بــالله مِـنْ أوصيــاهــا

أرأتهُ الوليَّ حقاً فولَّتْ وعلى ذاك خاتَم الرُّسل دلَّتْ
أم دَرتْ أنَّها بذلك زلَّتْ أم نبيُّ الهدى رأى الرُّسل ضلَّتْ
قَبْلَهُ فــاقتفى خِــلافَ اقْتِفَـاهــا

ضــلَّ أهــلُ الغيِّ الأُلَى نبَّهتْهمْ فِئــةٌ عنه بــل وكم قــد نهتهمْ
غُمِـروا في ضــلالــةٍ فــازدهتهمْ أَوَمــا يــنــظرون مــاذا دَهتــهُمْ
قصــةُ الغــار من مساوي دُهــاهــا

كم مَخازٍ فيها روَى الذكرُ شتَّى جَذَّ أصلاً لَهُمْ وفَرعاً وبتَّا
وبِهَــا شَمــلُ فضلِهم قــد أشتَّــا يومَ طافت طوائفُ الحُـزن حتَّى
أوهَــنتْ مــن جنــى عتيقٍ قُــواهــا

قصــدَت أحمــداً ومــا قَصَــدَتْــهُ آيــةٌ عــن ســكــيــنــةٍ أفــردتْــهُ
حيثُ منــه الإيمان قــد أفقــدتْهُ إن يكن مُؤمنــاً فكيف عَــدتْــهُ
يــومَ خــوفٍ سكينــةٌ وعَــداهــا ؟

وَهْــوَ لــو كــان لــلإلّــه مُنيبــا ولِـداعي الإيمــان قِـدْمـاً مُجيبـا
شَمَلَتْــهُ وكــان منهــا مُصيبــا إنَّ لــلمؤمنيــن فيــهــا نصيبــا
وهــو يــوم الــوبــال أقصى وِقــاهــا

قــد أمــاط الغِــطا إلّــهُ السمــاءِ عــن تقــيٍّ وعن شــقيٍّ مُــرائــي
في كتابٍ أحاطَ بالأشياءِ كم وكم صُحبةٍ جرت حيث لا إيـ
ـمَــانَ والله في الكتــاب حَكــاهــا

فَلِفِـرعَـوْنَ بـالفنـا لم يُعجَّـلْ ولِقَـارُون بـالـرَّدى لم يُمهِّـلْ
ولذا الرِّجس بـالهُدى لم يُؤمِّـلْ وكـذا في بَـرَاءَةٍ لم يُبَسْمِـلْ
حيـثُ حـلَّت بـذكـرِهِ بَـلواهـا
سلْ غُواةَ الشِّـرك التي لم يخُنْها أَلِمـاذا قـد خيَّب الـرِّجسُ منهـا
وإلـيـه تبـليغُـهـا كـان مُنهى ثم سَلْها من بعـدِ مـا رُدَّ عنهـا
صـاحبُ الغـارِ خـائبـاً من تـلاهـا
مـا سمِعنـا بمثلِهِ في القبـائـلْ من كَفـورٍ يروض حقّـاً ببـاطـلْ
نـاصِرُ الغيِّ في الهُـدى مُتخاذِلْ أين هذا من راقدٍ في فـراش الْـ
ـمُصـطفَى يسمـعُ العِـدَى ويَـراهـا
كم نَحتْـهُ من الضـلالِ بجيشٍ نغَّصتْ فيه للهـدى كـلَّ عيشٍ
إذ أرادت كيـداً بـطة لـطيشٍ فـاستـدارت بـه عُتـاةُ قُـريشٍ
حيثُ دارتْ بهـا رَحى بَغضـاهـا
ورأت أيَّ رائـعٍ مـخـبـوءِ لـفـؤادٍ مـن رُعـبـهِ مـمـلوءِ
فـانثنت بـالـوبـالِ عن مَكْلـوءِ وأرادت بـه مـكـائـدَ سـوءِ
فـشـفَـى اللهُ داءَهَـا بِـدَوَاهـا
ورأتْ هيبـةً بهـا عـزمُهـا ثُـلْ ورأت أروَعاً على الحتفِ يَفضلْ
ورأت صارِماً هُو الموتُ إن سُلْ ورأت قَسـوراً لـو اعتـرضتـه الْـ
إنسُ والـجنُّ في وغـىً أفـنـاهـا
يُتبِـعُ الحـزمَ حَـزمُـهُ ثم يُـردفْ بالْحِمامِ الـرَّدى وللعُمر يَقصفْ
مُـذ أراهـا من الفنـا أيَّ مـوقفْ مـدَّ كفَّ الرَّدى فَلَو لم تُكفكفْ

عنـــه آثـــار بَغْـيِهَـــا لَـمَـحـــاهـــا

قد أحاطت بها الخطوبُ وحاقتْ وعليها الأرضُ البسيطةُ ضـاقتْ

ولــرُعــبٍ مُــرَّ المنيــةِ ذاقـتْ نــظرَت نــظرةً إليــه فــلاقتْ

قُــدرةَ الله لا يُــرَدُّ قــضــاهــا

ورأت منــهُ نــاظــراً يُصْمِيهــا بــل يدُ اللهِ أسهُمــاً تــرميهــا

ودَرتْ أنَّ رُعــبــهُ يُـفــنـيــهــا فتــولَّت عنــه وللرُّعـبِ فيـهــا

فَــلكٌ دائــرٌ عــلى أعــضــاهــا

بِــأَبِي مَنْ بِــهِ الإلَــهُ هَــدانــا وحَبــانــا بِحُبِّــه الإيـمــانــا

بِأَبِي مَنْ رعى الهُـدى وأعــانــا بِــأَبِي مَنْ غَــدا يُؤدِّي أمــانــا

تِ أخـيــه حــتــى أتــمَّ أَداهــا

شادَ رُكْنَ الهُدى بزُرقِ النِّصالِ وعلى الدِّينِ مَدَّ أعلى ظِلالِ

وأمــدَّ العُلى بغُــرِّ المعــالِي بأبي مَنْ حَمَى بطعن العـوالي

حُـرَمَ المصـطفى وصــانَ خِبَـاهـا

مَلِكٌ حُكْمُهُ على الكون يَجري وَهْوَ فيما يُجري مَدَى الدَّهر يَدري

آمــرٌ تــحــت أمــرِهِ كــلُّ أمــرِ رُتبــةٌ سَلْ بهـا العظيمَينِ جِبريـ

ـلَ وميكـالَ كيف قد خَــدَمَـاهــا

هو مثلُ الـذي عن المثلِ جَـلاَّ بـل عن الظِّـلِّ ظِـلُّ ربٍّ تجلّى

ضــلَّ قــومٌ بــهِ تقيسُ مُضِــلاَّ صــاحِ ما هؤلاء في النــاسِ إلاَّ

كـعيــونٍ داءُ الـعَمـى أعيــاهــا

دَع طَغـاماً لهـا عن الحقِّ منـأى ليس منها امرؤٌ يَرى الرُّشدَ مَرأى

ومن الغين منهمُ العينُ مَـلأى   أَلَـهـا مـنـظرٌ لإدراكِ مـرأى

أم لهـا مِسمـعٌ لمـن نـاجـاهـا

فهمُ للخنـا وللخـزي مـوطنْ   وهمُ للضَّـلال والـغيِّ مـعـدنْ

ليس يَعني بهـا الكتـابُ ويُعلن   أهُمُ خيـر أمـةٍ أخـرجت للنْـ

ـنَـاس هيهـاتَ ذاك بـل أشقـاهـا

فلتلك الأشبـاحِ محـواً ومَحقـا   ولتلك السَّوامِ في الأرض سُحقا

إنْ تـراها كـالناس خُلقـاً ونُطقـا   أتـراهـا مـن ولـد آدم حـقـا

أم سَـوامـاً كـانت لهم أشبـاهـا

ضـلَّ شيخاهُمـا ضلالاً عـظيما   وبـغيٍّ مـا زال كُـلٌّ مُـقـيـمـا

إنْ بفخـرٍ قـد كـان كـلٌّ زعيمـا   أيّ مـرمىً من الفخـارِ قـديمـا

أو حـديثـاً أصـابـهُ شيخـاهـا

أفهَـل منهمـا ذُبـابٌ تَسـربَـلْ   بدمٍ أم شَبا حُسامٍ قـد ابتـلّ

أم حـديثٌ عليهمـا في عُلىً دَلَّ   أيُّ أكـرومـةٍ ولـو أنَّهـا قُـلّـ

ـتْ ودقَّت تَـراهُمـا انْتَمَيـاهـا

بهمـا ائتمَّتِ البـهـائمُ لـمَّـا   في ذمـامِ الإسـلام بغيـاً أَلَمَّـا

سَفِهـت أمّـةٌ رأتْـهُ مُـهـمَّـا   أَلِـزُهْدٍ في الجـاهليـة عمَّـا

عهِـدَتـه الأيَّـامُ من جُـهـلاهـا

أم لـمجـدٍ مُـؤثَّـلٍ أم لجـودِ   أم لـطولِ الـرُّكـوع أم لسجـودِ

أم لِـرَعي الـذِّمـام أم لعقـودِ   أم لـذكـرِ أنـافَ أم لـعهـودِ

في ذمـامِ الإسـلام قـد حفـظاهـا

تَبِعتْ غاويَينِ فَلْتتبوَّأْ مَقعداً في لظىً لها قد تهيّأْ
فهما والغُواةُ للحقِّ تَدرأْ إن يكونا كزعمهم أسدَي بأ
سٍ فأيُّ الفرائس افترساها

ألنصُّ في الفضل جاء صريحِ فيهما أم حديثِ بأسٍ صحيحِ
كم ظفرنا لأصيد بذبيحِ كيف لم يظفروا ولا بجريحِ
ويَدُ الليثِ جمَّة جَرحاها

كم بحربٍ لحيدرٍ وبسلمِ من جهادٍ بسيفِ قولٍ وسَهمِ
قُل لقومٍ تجاهلت بعد علمِ إن تكن فيهما شجاعة قرمِ
فلماذا في الدِّين ما بَذَلاها ؟

أبِهَا أجَّجا الوغَى بسعيرِ أم بها زَلْزَلاَ الشَّرى بزئيرِ
لَستُ أدري وليتني بخَبيرِ ذَخِرَاها لمُنكَرٍ ونكيرِ
أمْ لأجنادِ مالكٍ ذَخِرَاها ؟

كم عُقود لِمصطفى الطُّهر حَلاَّ وبناءٍ من الهدايةِ شلاَّ
فوَحقِّ الهُدى الذي عنه ظلاَّ لم يُجيبا نداءَ أحمدَ إلاَّ
لأُمورٍ من كاهنٍ عَقَلاها

كم على الناسِ مَوَّها تمويها في أُمورٍ والله أعلمُ فيها
إن أجابا فأدركا تنويها عَلِمَا أنَّ أحمداً سَيَلِيها
وإذا مات أحمدُ وَلِيَاها

فأقاما على الضَّلالِ بعمدِ فاستقاما فأدركا كلَّ قصدِ
إذْ دَعا المصطفى لأوضحِ نَجْدِ فأجابا لرغبةٍ لا لرُشدِ

كلمــاتِ الإســلام إذ سَمِعَــاهــا

بِضَــلالٍ قــامــا وقــد تــابَعتْــهُ　　شُعَبٌ منهمــا وكم شــايعتْــهُ

وبــه إذا قــواهُــمــا طــاوَعتْــهُ　　نَكَثــا بيعــةَ الــذي بــايَعتْــهُ

من مُلوكِ السبع الأُولى عُظَمَـاهـا

لا تـزالُ الأُسـودُ في تشـويشٍ　　منـه والدَّارِ عُـونَ في تَخديشٍ

وهـو عنهـا مـا زال في تفتيشٍ　　أهـو المُختفي بـظلِّ عـريشٍ

حيث ظِـلُّ الكُمـاةِ كـان قَنـاهـا

فـاسـألِ القـومَ والجحيمُ مَقيـلُ　　عنـه إذ عنـه جـاء قـولٌ مُقيـلُ

أهْـوَ بـالعجـز قَـرَّ إذ لا مقيـلُ　　أم هـو القـائـلُ الْمُلِحُّ أقيـلو

نـي منـهـا فـإنـنـي أأبـاهـا

أين منـه مَن للهُـدى لم يُـطعْـهُ　　وإذا الـحـقُّ حـقَّ لـم يـتَّـبـعْـهُ

واغضِ عن جهلهِ وبـالجبن دعْهُ　　لَـو حـوى قلبَ بنتِـه لم تـرعْـهُ

من صِفـاح اليهـودِ وَقْـعُ شَبـاهـا

كم بِـرِجسٍ إبليسهـا قـد تلبَّس　　فغـوَى والغـويُّ لا يـتحـرَّس

ولكَم مـحتـدٍ لـقـومٍ تـدنَّس　　يومَ جاءت تقودُ بالجمـلِ الْعَسْـ

كَـر لا تـتَّقي رُكـوبَ خَـطاهـا

سبَحتْ في الضلالِ والغيِّ سبحا　　حيث باعت بالخُسر في الدِّين ربحا

ومضت تخبطُ السبـاسب كدحـا　　فـألَحَّتْ كـلابُ حَـوْأَبَ نَبحـا

فـاستـدلَّت بـه على حَـوبـاهـا

كم غُـواةٍ حفَّـت ببنتِ غـويٍّ　　جهِـدت في قتـالِ خيـرِ وصيٍّ

وتخـطَّت من الـرَّشـادِ لغيٍّ   يـا تَـرى أيُّ أُمَّـةٍ لـنـبـيٍّ
جـازَ في شَـرعِـهِ قتالُ نِسَـاهـا

أتَـراهـا درَتْ بمـا فيه جـاءتْ   أم بـأيٍّ الضلالِ والإثمِ بـاءتْ
فـاسألـوهـا إذ بـالغـوايةِ فـاءتْ   أيُّ أُمٍّ لـلمـؤمـنـيـنَ أسـاءتْ
بِبَنِيهَـا ففـرَّقتهـم سِـوَاهـا

فـرَّقتهم بـالبغي عن كـلِّ نـادِ   جَـمعتهـم للغيِّ بعـد رشـادِ
جَعلت شَمْـلَ جَمْعِهِـم لِبَـدادِ   شتَّتهم في كـلِّ شعـبٍ ووادِ
بئس أمٌّ عَـتـتْ عـلى أبـنـاهـا

وبـذاك الـنبيُّ يـدري ويَعـلمْ   وبـه أعـلن الـكـتـابُ وأعـلمْ
فهي مع حفظِها الكتاب المعظَّمْ   نـسيَت آيـة الـتبـرُّج أمْ لـمْ
تَـدْرِ أنَّ الـرَّحمـان عنـهُ نَهـاهـا

مَن مُجيرُ الهُدى وهل من مُغيثِ   مِن أتـانٍ ضلَّت بسيـرٍ حَثيثِ
وعجيبٌ من بنتِ رجسٍ خبيثِ   حفِـظتْ أربعين ألفَ حـديثِ
ومـن الـذِّكْـرِ آيـةٌ تَـنـسـاهـا

نكَّست ضِلَّةً وخـزيـاً رؤوسا   لم تُنكِّس في عثيرِ الحرب شُوسا
إن نسينـا للدَّهر مـا ليس يُؤسى   ذكَّـرتنـا بفعلهـا زوجَ مُـوسى
إذ سعت بعـد فقـدِهِ مَسعـاهـا

عـاجَلت تلك بـالـذي آجلَتْـهُ   هـذه بـالـوصيِّ إذ قـابَلتْـهُ
وبمـا تلك عـامَلتْ عـامَلتْـهُ   قـاتلَت يُـوشعـاً كما قـاتلَتْهُ
لم تخـالف حمـراؤهـا صَفْـراهـا

فـاغتـدتْ بعـد حِلمها تتسفَّـهْ وبغيـر الأوثـان لـم تتـألَّـهْ
واسـتـدامتْ بـغيِّهـا تتـولَّـهْ واستمـرَّتْ تجـرُّ أرديـةَ اللَّهْـ
ـوِ الـذي عـن إلَهِهـا ألـهاهـا

ذاتُ غيٍّ بهـا الغـوايـةُ تُخزى وشقـاءٍ بهـا الشَّقـاوةُ تُـرزى
وإليهـا نفسُ الضـلالـةِ تعـزى فبإحراقِ مـالكٍ سـوف تُجـزى
مِن لـظى مـالـكٍ أشرَّ جـزاهـا

إنَّ لعنَ الغُـواةِ في كـلِّ يـومِ كصـلاةٍ وجـوبُـه أو كصـومِ
عامَ فكري في مقتهم أيَّ عـومِ لا تَلُمني يا سعدُ في مقتِ قومِ
مـا وَفتْ حقَّ أحمـدٍ إذ وَفـاهـا

أمَـةَ الـغيِّ أيَّ نُكـرى أتَيْتِ بـعـد طـهَ وأيَّ حـقٍّ أَبَـيْتِ
وعن الـرُّشـد أيَّ نـأيٍ نـأيتِ أوَمَـا قـال عتـرتي أهـل بيتي
إحـفـظوني فـي بِـرِّهـا وَوِلاهـا

هـدَّمـوا إذ عَصَـوهُ للرَّشـد بيتـا ثمَّ قـالـوا للغيِّ والبغي هَيْتـا
وامتـطَوا في عِنـادِ طـهَ كُميتا نـازعُـوهُ حيّـاً وخـانـوهُ ميّتـا
يـا لَتِلك الحُـظوظِ مـا أشقـاهـا

قـدرمـاهـا الإلَه في كـلِّ مُعضِلْ وأراهـا ببغيهـا كـلَّ مُـهْـوِل
ومن النـار بـوِّئـتْ أيَّ منـزلْ أمَّـةٌ لـم تَؤُمَّ أمْـرَ سفـيـرِ الْـ
ـلَّهِ ضـلَّت وضـلَّ من يَـهـواهـا

هُم غـواةٌ كـلابُهـا كم تعـاوتْ لاجتمـاعٍ على الخَنـا فتهـاوت
أتـراهـا من دائِهـا لا تـداوَت كيف أقصت أخَـا نِـزارٍ وآوت

مِنْ أعـادي مُـحـمـدٍ أعـداهـا

مَن رَجَا الخيرَ مِن يَدَيْ شرٍّ حافِ أمـلَ الرّيّ من سـرابِ الفيـافي

أرأيت السقيمَ سُقمـاً يُشـافـي تَعستْ جبهـةُ الجبـانِ تُنـافي

كـلَّ خيـرٍ لا خيـرَ فيمن رَجـاهـا

كم من المَين قد أتاهـا بمُزعِـج كـلُّ وغدٍ في القلب نـاراً يؤجِّج

قُل لمن يفتري الحديث وينسج أحَـديثُ القيـان يكـرهُـهُ الـرَّجـ

ـسُ ولـلمُصـطفى يلذُّ غِنـاهـا

ذو ضَـلالٍ والـغيُّ فيـه جَليُّ ومِـن البـغـي والـبـغـاء مَليُّ

ومِـنَ الفـضـلِ والعُـلُومُ خَلِيُّ لـيتَـهُ حين قـال لَـولا عَـلِيٌّ

وبـدَت آيـةُ الهُـدى فـاقتفـاهـا

كم أرادَ الهُـدى وعـاد أسيـرا لهَـواهُ واختـارَ عنـهُ سعيـرا

ولـوِ اختـارهُ استنـارَ ضميـرا لكنِ الجهـلُ لم يـدعْـهُ بَصيـرا

أيُّ عـينٍ رأتْ عـقيـب عَـمـاهـا

لـيس أولَـى بـالأمـرِ إلاَّ ولـيُّ لـلبـرايـا والنصُّ فيـه جلـيُّ

كنـزُ فضـلٍ من كـلِّ علمٍ مليُّ إيْ وحقِّ الإسـلامِ لـولا عليُّ

مـا قَـضـاهـا فتـىً ولا أفتـاهـا

كـلُّ علمٍ أعيـا الـورى لم يُبِنْـهُ غيـرُ نـدبٍ عِلمُ الغُيـوب لـدُنْـهُ

مذ أضاءت شمسُ الفضائلِ عنهُ قـد أطلَّت على العـوالِم منـهُ

حكمـةُ اللهِ لم يَسعهـا فَضـاهـا

هُـو بـعـدَ النبيِّ أوَّلُ فِـعـلٍ فـاضَ من مصدرِ الجـلال بنُبلٍ

فَـلكٌ مُـشـرِقٌ بِنَـيِّـرِ عـقـلِ
تتجلَّى بِــهِ مُنيـراتُ فضـلِ
كـالـدَّراري سيَّـارةٌ في سمـاهـا

فَيْءُ آلِ الهُـدى قـد اقتسمـوهُ
وعليهم شيـخُ الخَنـا قـدَّمـوه
فــوحقِّ الحقِّ الـذي حُـرِمـوهُ
لم يـذُوقوا الهُـدى ولـو طَعمـوهُ
عَـرَفـوا لـلنبيِّ قـدراً وجـاهـا

مُـذ دَعَـا للهـدى أجابت دُعـاهُ
ألـسنٌ والـقـلوبُ تـأبـى نِـداهُ
همْ وإن وافقتْ شِفاهـاً شِفـاهُ
صـاحَبوهُ ونـافقـوا في هــواهُ
فهــو أولى جـحيـمهـا ولَـظاهـا

بـايَعـوا كـلَّ ذي ضَـلالٍ سفيـهِ
وتـخــطَّوا من الـرَّشَـادِ لـتيـهِ
أشـقيـاءُ والإبـنُ مـثـلُ أبيــهِ
نَقضـوا عهـدَ أحمـدٍ في أخيـهِ
وأذاقــوا البتــولَ مـا أشـجـاهـا

منهـم أغضـبَ البَـتـولـةَ عِلجُ
إذ أتتـهُ تـراثَهـا منه تــرجـو
فــأبَى الـرِّجسُ إذ رآهــا تعـجُّ
وَهِيَ العُـروةُ التي ليس ينجــو
غيــرُ مستعـصمٍ بِـحَبْـلِ وِلاهـا

أرسـلَ اللهُ سيِّـد الـرُّسـل طُــرّا
بـالهُدى والشيـطانُ يُعبَـدُ جَهْـرا
ومُــذِ الحقَّ شقَّ للبعثِ فَجْـرا
لـم يَــرَ اللهُ لـلرِّسـالــةِ أَجْــرا
غيــرَ حِفظ الْـوِدَاد في قُــربـاهـا

لم تزل بعد أحمدَ الطّهـر عبرَى
بغُمـومٍ من ذلك الـرِّجس تَترى
وَيْـلَ عِلجٍ بهـا استخفَّ وأدرَى
لست أدري إذ رُوِّعتْ وَهْيَ حَسْرَى
عــانَــد القــومُ بعـلَهـا وأبــاهـا

مُـذْ أُضيمت من بعدِه أيَّ ضَيْمِ لم يـزلْ حُـزنـهُ لـديهـا كَغيمِ
جُـرِّعتْ من سِمامِ سَـامٍ وأيمِ يـوم جـاءت إلى عـديٍّ وتَيْمِ
ومن الـوجـدِ مـا أطـال بُكـاهـا

قد أغاظوا لِسَيِّدِ الـرُّسْلِ صِنْـوا حين رضُّوا من فاطمَ الطُّهرِ عُضْوا
ولَكَمْ بثَّتِ الـمهيـمـنَ شَكـوَى فـدعَتْ واشتكتْ الى اللهِ شجوا
والـرَّواسي تهتـزُّ من شَـكـواهـا

ثمَّ عـادت بخطبـةٍ وأعـادتْ كلمـاتٍ لهـا الـرَّواسخُ مـادتْ
وبكتْ واشتكتْ بِحـزنٍ ونـادتْ فـاطْمَأَنَّتْ لهـا القلوبُ وكـادتْ
أن تـزولَ الأحقـادُ ممن حَـواهـا

حـاجَجْتـهُمْ بـسنَّـةٍ وكـتـابِ أَفْلَجتْـهم بـحكـمـةٍ وصَـوابِ
حين جـاءت وقلبُهـا بـالتهـابِ تـعِظُ القـومَ في أتمِّ خـطـابِ
حَكَتِ المصـطفى بـه وحَكـاهـا

ولخـطبِ الْخَطَّاب أبـدتْ حنينا مـلأ الـدَّهـر رنّـةً وأنـيـنـا
وأسـىً أيقظ الـنبـيَّ الأميـنـا أيُّهـا القـومُ راقِبُـوا اللهَ فيـنـا
نحنُ من روضـةِ الجليـلِ جَنـاهـا

حُبُّنـا الحقَّ دينٌ والبُغضُ كفرُ وَوِلانـا يـومَ القيـامـةِ ذُخـرُ
وبـه في الجنانِ كم شِيـد قصـرُ نحن من بـارىءِ السماوات سرُّ
لَـو كـرِهنـا وجُـودَهـا مـا بَـراهـا

وبِـنَـا اللهُ أكـمـلَ الإيـمـانـا ولـنـا زيَّـن الإلـهُ الْـجِـنـانـا
ولأعـدائـنـا بَـرا الـنِّيـرانـا بـل بـآثـارِنـا ولُـطف رِضـانـا

سَـطح الأرضَ والسمـاءَ بنـاهـا

مَن تنحَّى عنَّـا فللغـيِّ يصبـو　　والـذي عن طريقنـا حـادَ يكبـو

فبِنـا اللهُ يـرضى والخيرُ يـربـو　　وبـأضـوائنـا التي ليس تخبـو

حوتِ الشُّهبُ ما حوتْ من سَناهـا

فحِمـانـا للوحيِ أكـرمُ منـزلْ　　وعُـلانـا للدِّين أعـظمُ مَـوئـلْ

وهُـدانـا للمهتـدي خيـرُ معقِـلْ　　واعلمـوا أننـا مَشـاعِـرُ دينِ الْـ

ـلّهِ فـيكـم فـأكـرمـوا مَثـواهـا

فإلى فضلنا لـدى الحشرِ أيضُ　　ولَـدينـا في جنَّـةِ الخُلدِ حـوضُ

ولنـا في الـنعـيم أزهَـرَ روضُ　　ولنـا من خـزائن الغيب فيضُ

تَـرِدُ الـمهتـدون منـهُ هُـداهـا

إنَّ ربَّ الـسَّمـا إلـيـنَـا تـجلَّى　　وحبـانـا أمْـرَ الْجِـنـانِ وولَّى

وبهـا خصَّ مَن بنـا قـد تـولَّى　　إن تَرُوموا الجنـانَ فهي من اللّـ

ـهِ إلـيـنـا هـديَّـةٌ أهـداهـا

بـلْ وِلاَنـا الْجِنـانُ لا تَـدَعـوهـا　　والـرِّضـا أمُّ روضهـا وأبـوهـا

فـاْصْحَبُـوا حُبَّنـا ومنَّـا خُـذوهـا　　هـيَ دارٌ لـنـا ونـحـنُ ذَوُوهـا

لا يـرى غيـرُ حِـزْبِنَـا مَـرآهـا

خُلِقتْ لـلذي إلى الـحقِّ دانـا　　لا لِمن خـانَ عهـدَنـا وجفـانـا

فَجِنَـانُ الـنعـيمِ مَـهْـرُ وِلاَنـا　　وكذاكَ الجحيمُ سِجْنُ عِـدانـا

حسبُهم يـومَ حشـرهم سُكنـاهـا

ليت شعري وفي الحشا أيُّ كيٍّ　　لا يُـداوَى وأيُّ داءٍ دويٍّ

أيُّهـا النـاسُ أيُّ بنتِ نبيٍّ وأسىً قـد طوى الأسى أيَّ طيٍّ

عـن مـواريثـهـا أبـوهـا زَواهـا

وبنصـري مـنكـم يقـومُ وثيـقُ أفَـهـل منكمُ بـحـقٍّ حقيقُ

كيف يَـزوي عنّي تُـراثي عتيقُ فيـراني والـدّمـعُ منّي عقيقُ

بـأحـاديثَ من لَـدُنْـهُ افْتَـراهـا

ووصـايـا الإلَـهِ فينا أَبـوهـا أنكَـروا النصَّ في أمورٍ أتَـوهـا

هـذه الكُتب فاسألوهـا تَـروهـا فـالأحـاديثُ إن علينـا افْتَـرَوهـا

بـالمـواريثِ نـاطقـاً فَحْـواهـا

إذ بكم قـد أحـاط غيٌّ وكفـرُ ليس يُجـديكمُ من الـذِّكْـرِ ذِكْـرُ

وبمعنى (يـوصيكـم الله) أمـرُ فبمعنىً من آلِ يـعقـوبَ سـرٌّ

شـامـلٌ للعبـادِ فـي قُـربـاهـا

إذ رآنـا بـذاك أحـرى وأولـى كُلُّ فضـلٍ لنـا المُهيمنُ أولى

كيف لم يـوصِنـا بـذلـك مَـولا وإلينـا أهـدى الـوصيَّة طَـولا

نـاو تَيْمـاً مِـنْ دونـنـا أوصـاهـا

ولِـداءٍ أَعْيَـا الـطبيـب دَواءَ يـا لخـطبٍ أَعْيَـا الـورى إعيـاءَ

هـل رآنـا لا نستحقُّ اهتـداءَ إنَّ ربّـاً بِـنـا بَـرى أنبـيـاءَ

واستحقّت تَيْمُ الهُـدى فَهَـداهـا

وتخـطّت إلى أشـدِّ الخـطايـا وَهْيَ كم أحدثتْ حدوثَ الرَّزايا

أم تـراهُ أضَلَّنـا في الـبـرايـا أتـراهُ لم يَـرْعَ رُشـد الـرَّعـايـا

بعـد علمٍ لكي نُصيب خُـطاهـا

أيّها القومُ هل ذِمامٌ يُراعى لنبيٍّ وَفى الذِّمامَ وراعى
عاد حقّي في ظالِمَيْنِ مُضاعا أنْصِفوني من جائِرَينِ أضاعا
ذمّةَ المصطفى وما رَعياها

فانظروا من بنا ببغيٍ تحكَّمْ ودهانا بالجَور أيُّ مُذمَّمْ
فَغَدونا من ظُلمةٍ نتظلَّمْ وانظروا في عواقب الدَّهر كم أَمْـ
ـسَتْ عُتاةُ الرِّجالِ من صَرعاها

قد سلكتُم من الضلالِ طُروقا وحفِظتُم من النِّفاقِ شُقوقا
ورأيتُم للغيِّ والبغيِ سُوقا ما لكم قد مَنعتُمونا حقوقا
أوجبَ اللهُ في الكتابِ أداها

وعلينا عُتاتكم كم تعاتَتْ وعلى الحِقد والحَزازةِ باتتْ
وعليه عاشت قُواكم وماتتْ وحذوتُم حَذوَ اليهودِ غَداة اتْـ
ـتَخَذُوا العجل بعد مُوسى إلَها

أعلِمتُم إذ غيُّكم هدَّ طَودا للهُدى كم أشاب للدِّين فَوْدا
وَلَكَمْ حينَ ذُدتُم الحقَّ ذَودا قد سَلبتُم من الخِلافةِ خَودا
كان منّا قِناعُها وَرِداها

ورَميتم آلَ النبيِّ بغدرِ وقعدتُم في الدِّين عن كلِّ نصرِ
وأَغَرتُم على الرَّشادِ بكُفرِ وسَبيتُم من الهُدى ذات خِدرِ
عَمَّ يوماً على النبيِّ سِباها

يا طَغامَ الأنام زِدتُم فُجُورا وأبيتُم في الدِّين إلَّا كُفورا
لكمُ الويلُ كم أتيتُم أمورا تدَّعون الإسلامَ إفكاً وزُورا

كَـذِبتْ أُمَّهـاتُكُم بـادِّعـاهـا

لستُ أدري إذ عنِ الرشاد صددتُمْ   ولأَزْرِ الضَّـلالِ بغياً شـددتمْ
أَلِبَعْـلٍ سجدتُم إذ سجـدتُمْ   أيُّ شيءٍ عبـدتُمُ إذ عبـدتمْ

أن يُـولَّـى تَيْـمٌ عـلى آلِ طـة

قـد جـعلتُم عليكـم أمـراءَ   أشقياءً خانـوا الهدى أدعيـاءَ
وائتمنتُم فـخنتُم أمنـاءَ   إن رضيتُم من دُونـنـا خلفـاءَ

لاشْتَفَتْ من قلوبكـم مَـرضـاهـا

أو أَعنتُم على الضَّـلالِ مُعينـا   لاسُقيتُم صوبَ الغمامِ مَعينـا
أو نكلتُم عنَّـا شُـللتُم يـمينـا   أو أبيتُم عهـودَ أحـمـدَ فينـا

لا وُقيتُم من الـرَّزايـا سُـطاهـا

إنَّمـا البُـردةُ التي قـد تـحلَّى   بحلاهـا مَن عن وِلآنـا تخلَّى
وتـولَّـى بغيـاً وعـنَّـا تـولَّـى   هـذه االبُـردةُ التي غضب اللّـ

ـهُ على كـلِّ مَنْ سِوَانـا ارتـداهـا

قـد تـلفَّـعتُم بـأثـوابِ نـارِ   وحُبيتُم منهـا بـأيِّ استعـارِ
واشتملتم منهـا ببُـردةِ عـارِ   فخـذوهـا مقـرونـةً بشنـارِ

غيـر محمـودةٍ لكـم عُقبـاهـا

سلبتكم أثـواب كـلِّ فخـارِ   وكسـاكم بهـا العُـرى كلَّ عـارِ
فـارتـدُوهـا قـد طُـرِّزت بشَنـارِ   والْبَسـوهـا لِبـاسَ عـارٍ ونـارِ

قـد حشوتم بـالمُخزيـاتِ وعـاهـا

إنْ نَسَلْكُـمْ أَدَاءَ حـقِّ جـوارِ   أَو نَسَلْكُـمْ وفـاءَ أيِّ ذِمـارِ
أوْ نَسْلَكُـمْ عن نِحْلةٍ وعِقـارِ   لم نَسَلْكُمْ لحـاجـةٍ واضـطرارِ

بـل نَـدُلُّ الـورى على تَقـواهـا

إنْ بغـدرٍ سُـدتُم وحـلِّ عُقـودِ   واتِّبـاعِ الهـوى ونقضِ عهـودِ

وبـبُـخـلٍ وشـحَّـةٍ وجُـمـودِ   كم لنا في الوجـودِ رشحةُ جـودِ

يُعجِـزُ السَّبعـةَ البحـارَ غِنـاهـا

ولنـا حِكمـةٌ ذكتْ لا بـزيـتِ   وسِبـاقٌ قـد فـاتَ كـلَّ كُمَيْتِ

وعُـلىً سَـادَ كـلَّ حيٍّ ومَيْـتِ   عـلمَ اللهُ أننـا أهـلُ بَـيـتِ

لـيس تـأوي دَنـيـةٌ مـأواهـا

فَـولاَنـا للنَّـاسِ أعـظمُ حصنِ   ومن الهَـول فـي غـدٍ أيُّ أَمنِ

كَـمْ علينـا مَنَّ الإلَـهُ بمـنِّ   لـو سـألنا الجليل إلقاءَ عـدنِ

أو مقـاليـدِ عـرشِـهِ ألْقـاهـا

أين مِنْ شَـأْوِ مَجدِهم كـلُّ شانِ   قـاصـرٌ عن هِجَـاهُ كـلُّ بَيـانِ

إنْ بـه فاهَ طُـولَ دَهـري لسـاني   سعدُ دَعْني وهجَو سُودِ المعانِي

أكبـرُ الحمـدِ في مَعانِي هِجاهـا

قُـل لقـومٍ سعت بجُهـدٍ فسـادا   ونَـفـتْ حـقَّ آلِ طَـهَ ارتـدادا

يـا طَغامـاً ضاهتْ ثمـوداً وعـادا   كيف تُنفى ابنـةُ الـنبيِّ عِنـادا

لا نَفَى اللهُ مِنْ لَـظىً مَن نَفـاهـا

أَلأَيِّ الأُمـورِ تُـجـهَـلُ قـدرا   بنتُ خيرِ الورَى فتُجْهَـلُ قبـرا

أَمْ لأَيِّ الأُمـورِ تُـظْلَمُ جَهْـرا   ولأَيِّ الأُمـورِ تُـدفَـن سِـرّا

بَضْعَـةُ المصـطفى ويُعفى ثَـراهـا

نغَّصُـوا عَيشها وقـد كـان رَغْـدا   وفُؤادُ الهُـدى لهـا ذابَ وَقْـدا

إذ قَضتْ وهي أوفرُ الخلق جُهْدا   فمضتْ وهي أعظمُ الناسِ وَجْدا
في فَمِ الـدَّهـرِ غُصَّـةٌ مِنْ جَـواهـا
فاغتدَى قلبُها على الضَّيم يُطوى   واغتدَى دمعُها بـه الأرضُ تُرْوَى
تَخِـذَتْ للأحـزانِ كالقبـر مأوى   وثَوَتْ لا يرى لهـا الناسُ مَثـوى
أيُّ قُـدسٍ يـضـمُّـهُ مَـثـواهـا
قـد رَمتهـا يـدُ الحقـودِ بِصـرفِ   لـلرَّزايـا ذاقتْ بـه أيَّ حـتـفِ
فقضَتْ والـزمـانُ عنهـا بخُلفِ   ثـم همَّـت ببـعلهـا كـلُّ كـفٍّ
واســتـمــدَّت لــه رِقاقَ مـداهـا
أمَّةٌ ضَـلَّ إذ غـوتْ مَسعـاهـا   أمَّـةٌ خـاب حينَ ضلَّت رجـاهـا
أمَّــةٌ في الأنـامِ مــا أشقـاهـا   أمَّــةٌ قـاتـلتْ إمـامَ هُـداهـا
يـا تَـرى أين زال عنهـا حيـاهـا
أدعيـاءٌ قــد انتمت لــطغــامِ   لا تُبــالي في البغي مـن آثـامِ
وَازَرَتْـهـا في الـغيِّ أيُّ سَــوامِ   كم أرادتْ إطفــاء نـارِ حُسـامِ
صــاغَــهُ اللهُ ثـمْــرةً لحشـاهـا
حِلْفُ كـفٍّ بهـا لهـم أيُّ كفٍّ   ونـكــالٌ لـهــم وإرغـامُ أنـفِ
ولِـطغيـانهــم بهـا أيُّ حـتفِ   بـأبـي مَن لــهُ مـطاعـنُ كـفٍّ
لا يُـداوَى من الــرَّدى كَلْمـاهـا
كم بهـا للرَّشـادِ أَسْدَى صَنيعـا   وبنَى لــلإسـلام حُصنـاً رفيعـا
إذْ غــدا للعلومِ كهفـاً منيعــا   إنَّ ذاتَ العُلومِ تُنْمَى جميـعـا
لــعــليٍّ وكــان رُوْحَ نَــمــاهــا

مُذْ يَدُ الصُّنْعِ للهدى كوَّنتهُ وبحَلْيٍ من فضلها زَيَّنَتْهُ
كلُّ أُكرومةٍ بمَجدٍ عَنَتْهُ وكذا كلُّ حكمةٍ مكَّنَتْهُ
مِنْ أعالي سَنامها فَامْتَطاها

فَمَعاليهِ للفضائلِ إلفُ وأياديهِ للفواضل حِلفُ
فمتى يَلتجي الْعُلى فهو كهفُ ومتى يُذْكَرِ النَّدى فهو لطفُ
إنَّ مُحيي الموتَى به أحياها

فيه للغيِّ ساخَ كلُّ أساسٍ ورسا للهُدى به كلُّ رَاسٍ
فَلِصَمصامهِ القضاءُ مُواسٍ وَلإقدامهِ تَزولُ الرواسي
والمقاديرُ تَقشعِرُّ حَشاها

كم مَعالٍ منه لَدَيها التطوُّلْ وعُلومٍ له عليها التفضلْ
فَلهُ انقادَ صعبُها بتذلُّلْ ومَرامي الأسرارِ سَدَّدَ سَهْمَ الْـ
ـلَّهِ منه لها فَما أَخطاها

بحرُ فيضٍ أَغنى افتقارَ عُفاةِ للوُجوداتِ منه في رَشَفاتِ
وَهْوَ إنْ بِالنَّوال أحيا رُفاتِ كم له من مواهبٍ مُردَفاتِ
هِيَ كالشَّمس لا يَحول ضِيَاها

قد تمّت هذه القصيدة الفريدة نوَّر الله ضريح ناظمها .

أصل الأُزْرِيَّة

نظمُ المغفورِ له

الشيخ محمد كاظم الأُزري

بســـم الله الرحمن الرحيم

لمن الشمسُ في قباب قُباهـا شفَّ جسم الدُّجى بروح ضِياها
ولمن هــذه المـطايـا تَهـادى حيٌّ أحيـاءِها وحيٌّ سُـراهـا
يَعمـلاتٌ تُقِـلُّ كـلَّ غـريـر قد حكته شمسُ الضُّحى وحَكاها
مـا أرانـي بـعـدَ الأحبَّـة إلاَّ رسمَ دارٍ قـد انمحى سَيمـاهـا
كم شجتْني ذاتُ الجناحِ سُحَيراً حين طـار الهوى بهـا فشجـاهـا
ذكَّـرتني ومـا نـسيتُ عهـوداً لـو سَلا المـرءُ نفسه مـا سلاهـا
نبَّهت عيني الصَّبـابـةُ والـوجـدُ وإن كـان لـم ينم جَفـنـاهـا
فـتنبَّـهـتُ لـلَّتـي هـي أشـقـى والهـوى للقلوب أقصى شقاهـا
يـا خـليلَيَّ كـلُّ بـاكـيـةٍ لم تـبـك إلاَّ لِـعـلَّةٍ مـقـلتاهـا
لا تلومـا الـورقـاءَ في ذلـك الـوجـد لعـلَّ الـذي عَـراني عَـراهـا
خلِّيـاهـا وشـأنهـا خلِّيـاهـا فعسـاهـا تَبُـلُّ وجـداً عسـاهـا
كـان عهـدي بهـا قـريـرةَ عينٍ فـاسـألاهـا بـالله ممَّ بُكـاهـا
ليتَ شِعري هل للحمائِم نَوحي أم لَـديهـا لَـوَاعِجي حـاشـاهـا

لَـو حوتْ مـا حـويتُـهُ مـا تغنَّت   سلْ عن النَّار جسمَ مَن عـاناهـا

أهـلُ نجـدٍ راعَـوا ذِمام محبٍّ   حَسِبَ الحبَّ روضـةً فـرعـاهـا

عـوِّدونـا على الجميـلِ كمـا كنتمْ فقـد عـاود القلوب أسـاهـا

قـرِّبـونـا منكم لِنَشفي صُـدوراً   جعـل الله في الشِّفـاء شِفـاهـا

وعِـدُونا بـالوصـل فالهجرُ عـارٌ   كيف تستحسنُ الكـرامُ جَفاهـا

حيِّ أوطـانـنـا بـوادي المصلَّى   فـهي أوطـار نـشـوةٍ نلنـاهـا

حيثُ صحفُ الغرامِ تُتلى وما أد   راك مـا لفـظُهـا ومـا معنـاهـا

كم لأهـلِ الهـوى بهـا وقفـاتٌ   أوقفتْـهـا على بـلوغِ منـاهـا

حبَّـذا وقفـةٌ بـتلك الـثـنـايـا   صحَّ حجُّ الهوى بوادي صَفـاها

كلَّمـا مـرَّ من سحـائب وصـلٍ   سـار سـرُّ الهـوى بهـا فمـراهـا

كلَّمـا أسلفَ الصَّبـا من سـلافٍ   تصقلُ الدَّهـر نسمةٌ من شـذاها

أيـن أيـامُ رامـةٍ لا عَـداهـا   مَـدمـعُ العـاشِقين بـلَّ حَيـاهـا

دهـرُ لهـوٍ كـأنَّنـا مـا لبثنـا   فيـه إلَّا عشيـةً أو ضُحـاهـا

مـا لنـا والنَّـوى كفَى اللهُ منهـا   أيُّ نـكـرٍ أتـتْ بـه كَـفَّـاهـا

حيثُ بتنـا شتَّى المغـاني ومـاذا   أنكـر الـدهـر من يـدٍ أسـداهـا

يـا أخِـلَّاي لـو رعيتم قلوبـاً   جـدَّ جدُّ الهـوى بها فـابتـلاهـا

أنصِفُـونا من جَـورِ يـومِ نَـواكم   حَسْبُ تلك الأكباد جَورُ جَفـاها

عَمْـرُكَ الله هـل تنشَّقتَ عـرفـاً   من دُمَى الحيِّ أو وَردْتَ دِمـاهـا

أم لمَحتَ القِباب أم شِمت منها   تلكم الـومضـة الَّتي شُمنـاهـا

خبِّـرينا يـا سَرحـةَ الـوادِ عنهم   أين ألقَتْ تِلك الظعونُ عصـاهـا

يـا لقـومي مـا دونَ رامـةَ ثـاري فاسأَلـوا عن دَمي الْمُراق دمـاها
إنَّ حتفَ الـورى بـعيـن مهـاةٍ لا تخـال الحِمـام إلَّا أخـاهـا
مـا على مِثلها يـذمُّ هـوانـا وعلى مِثلنـا يُـذمّ قِـلاهـا
يـا خَليليَّ والـخـلاعـةُ ديـنـي فـاعْـذُرا أهلهـا ولا تَعـذُلاهـا
إنَّ تِلك القلوب أَقْلَقَهـا الـوجـدُ وأدمَى تِـلكَ العـيـونَ بُكـاهـا
لا تَلوما مَن سِيَم في الحُبِّ خَسفاً إنَّـمـا آفـةُ القـلوبِ هـواهـا
أيُّ عيشٍ لعـاشقٍ ذاتَ هجـر لا يـزال الحِمـام دون حِمـاهـا
أيُّ عيشٍ للسَّـالـفيـن تقضَّى كـان حلوَ المـذاقِ لـولا نَـواهـا
هي طُـوراً هجرٌ وطـوراً وِصـالٌ مـا أمـرَّ الـدُّنيـا ومـا أحـلاهـا
كم ليـالٍ مـرَّت بلميـاءَ بيضٍ كـان يُجْنَى النعيم من مجتناهـا
كان أنكى الخطوب لم يُبك منِّي مُـقلةً لـكن ألـهـوى أبكـاهـا
لـو تـأمّلت في مجـامـد دمعي لتعـجَّبـت من أسـىً أجـراهـا
أنـا سيَّارة الكـواكب في الحرْ بِ فـأنَّى يَعـدو عليَّ سُهـاهـا
كـلَّ يـومٍ للحـادثـاتِ عَـوادٍ ليسَ يقوى رَضْوَى على مُلتقاها
كيف يُرجى (الخلاص) منهنَّ إلَّا بـذمامٍ من سيِّـد الرُّسـل (طـهَ)
مَعقِـل الخائِفين من كـلِّ خوفٍ أوفـرُ العـرب ذمّـةً أُوفـاهـا
مصـدرُ العلم ليس إلا لـديـهِ خَبَـرُ الكـائنـاتِ من مُبتـداهـا
ملكٌ يَحتـوي ممـالـكَ فضـلٍ غيـرَ محـدودةٍ جهـاتُ عُـلاهـا
لـو أُعيـرت من سَلسبيـل نـداه كـرةُ النـار لاستحـالت ميـاهـا
هـو ظـلّ اللهِ الـذي لـو أوتْـهُ أهـل وادي جهنّم لَحَـمـاهـا

عَلَمٌ تَلْحَظُ العوالِمَ منه خيرُ من حلَّ أرضها وسماها
ذاك ذُو إمرةٍ على كلِّ أمرٍ رتبةٌ ليس غيرُه يُؤْتاها
ذاك أسْخَى يداً وأَشْجعُ قلباً وكذا أشجعُ الورى أسخاها
ما تناهت عوالمُ العِلم إلاَّ وإلى ذاتِ (أحمدٍ) مُنتهاها
أيُّ خلقٍ للهِ أعظم منه وهو الغاية التي استقصاها
قلَّب الخافِقَين ظهراً لبطنٍ فرأى ذات (أحمدٍ) فاجتباها
مَن ترى مِثلَه إذا شاءَ يوماً مَحْوَ مكتوبةِ القضاءِ مَحاها
رائدٌ لا يرودُ إلاَّ العوالي طاب من زهرة القنا مُجتناها
ذاتُ علمٍ بكلِّ شيءٍ كأنَّ اللَّوْحَ ما أثبتَتْهُ إلاَّ يداها
لَسْتُ أَنْسَى له منازِل قُدسٍ قد بناها التُّقَى فأعلى بناها
ورِجالاً أَعِزَّةً في بيوتٍ أَذِنَ اللهُ أن يُعزَّ حماها
سادةٌ لا تريدُ إلا رضَى اللهِ كما لا يريدُ إلاّ رضاها
خَصَّها مِن كَمالِهِ بِالمعاني وبأعلى أسمائِهِ سَمَّاها
لم يكونوا للعرشِ إلاَّ كُنُوزاً خافياتٍ سبحانَ من أبداها
كم لهم أَلْسُنٌ عن اللهِ تُنبي هي أقلامُ حكمةٍ قد بَراها
وهم الأَعين الصحيحات تُهدي كلَّ نفسٍ مكفوفةٍ عيناها
علماءُ أئمةٌ حكماءُ يَهتدي النجم باتِّباع هُداها
قادةٌ عِلمُهم ورأيُ حِجاهم مسمعاً كلَّ حكمةٍ مَنْظِرَاها
ما أُبالي ولو أُهيلت على الأرْضِ السمواتُ بعد نَيْلِ وِلاها
من يُباريهم وفي الشَّمس معنىً مُجهدٌ متعبٌ لمن باراها

وَرِثُوا من «محمدٍ» سَبْقَ أُولا ها وحازوا ما لم تحز أُخراها

آيةُ اللهِ حكمةُ اللهِ سيفُ اللهِ والرحمةِ التي أهداها

أَرْيَحِيٌّ له العُلى شاهدات إنَّ من نعل أَخْمِصَيْهِ عُلاها

نَيِّرُ الشكل دائِرٌ في سماءٍ بالأعاجيب تستدير رَحاها

فاض للخلْقِ مِنه عِلمٌ وحلمٌ أخذتْ عنهما العقولُ نُهاها

واستعارت منه الرِّسالةُ شمساً لم يزل مُشرقاً بها فَلَكاها

حيٌّ ذاكَ المليحَ أيُّ ثمارٍ من حبيبَّة الإلَهِ اجتناها

ما عسى أن أقولَ في ذي معالٍ علّةُ الكون كُلّه إحداها

كم على هذِه له من أيادٍ ليست الشمسُ غيرَ نار قراها

وله في غدٍ مضيفُ جنانٌ لم يَحُل حُسنها ولا حُسْنَاها

كيف عنه الغِنى بجودِ سِوَاه وهو من صورةِ السَّماح يداها

أين من مَكْرُماتِهِ مُعصراتٌ دون أدنى نواله أنداها

ملأت كفُّه العوالمَ فضلاً فلهذا استحال وجه خَلاها

بأبي الصارمُ الإلَهيُّ يَبري عنقَ الأزمةِ الشديد بُراها

جاورتْهُ طريدةُ الدِّين عِلماً إنَّه ليثُها الذي يَرعاها

نَطَقَتْ يومَ حمْلِهِ مُعجزاتٌ قَصُرَ الوهمُ عن بُلوغِ مَداها

بشَّرت أمُّه به الرُّسل طرّاً طرباً باسمِهِ فيا بُشراها

تلتقي كلُّ دورة برسول أيُّ فَخرٍ للرُّسل فِي مُلتقاها

كيف لم يَفْخروا بدورةِ مولىً فَخُرَ الذِّكْرُ باسمهِ وتَباهى

لم يكن أكرمَ النبيّين حتى علمَ الله أنَّه أزكاها

فَلِتَقواهُ تَنثني الرُّسلُ حَسْرَى   حيث لا نستطيع نيلَ ذُراها
نوَّهَتْ باسمه السماواتُ والأر   ضُ كما نوَّهت بصبحٍ ذُكاها
وبدا في صفائِحِ الصُّحُفِ منه   بدرُ إقبالها وشمسُ ضُحاها
وغَدَت تَنْشُرُ الفضائلَ عنه   كلُّ قومٍ على اختلافِ لُغاها
وتمنَّوه بُكرةً وأصيلاً   كلُّ نفسٍ تودُّ وَشْكَ مُناها
وتنادتْ به فَلاسِفةُ الكُّهانِ حتى وَعَى الأَصمُّ نِداها
وصفُوا ذاتَه بما كان فيها   من صِفاتٍ كمن رأى مَرْآها
طَرِبَتْ لاسمِهِ الثَّرى فاستطالتْ   فوقَ علويَّةِ السما سُفلاها
ثمَّ أثنتْ عليهِ إنسٌ وجنٌّ   وعلى مثله يحقُّ ثَناها
لم يزالوا في مرْكَزِ الجَهْلِ حتى   بعثَ اللهُ للورى أزكاها
فأتَى كاملَ الطبيعة شمساً   تستمدُّ الشموسُ منه سَناها
وإلى فارس سَرَى منه سرٌّ   فاستحالتْ نيرانُها أمواها
وأحاطَت بها البوائقُ حتى   غاضَ سَلْسَالُها وفاضَ ظَماها
وأقامتْ في سفح إيوان كسرى   ثَلمةٌ ليس يلتقي طَرفاها
وتهاوتْ زُهْرُ النجومِ رُجوماً   فانزَوَى ماردُ الضَلالِ وَتاها
رُميتْ منهم القلوب برعبٍ   دكَّ تلك الجبال من مرساها
وانمحت ظُلمةُ الضلالِ ببدرٍ   كان ميلادُهُ قِرَانَ انْمِحَاها
فكأنَّ الإشراك آثارُ رسمٍ   غالَها حادثُ البلا فمحاها
وكأنَّ الأوثانَ أعجازُ نَخْلٍ   عاصفُ الرِّيح هَزَّها فرماها
ونواحي الدُّنيا تَميس سُروراً   كغصونٍ مرَّ النسيم ثناها

سيِّدٌ سلَّم الغزالُ عليه والجماداتُ أفصحتْ بِنِدَاها

وإلى نشرِهِ القلائصُ حنَّت راقصاتٌ ورجَّعت بِرُغاها

وإلى طِبِّه الإلهيِّ باتتْ عِلَلُ الدَّهرِ تَشْتَكي بَلْواها

كيفَ لا تشْتكي اللَّيالي إليهِ ضُرَّها وهو مُنتهى شَكْواها

وبِهِ قرَّتِ الغزالةُ عيناً بَعْدَما ضلَّ في الرُّبى خِشْفاها

مَن لِشَمْسِ الضُّحى بلثم ثَراهُ فتكونَ التي أصابتْ مُناها

جاء من واجب الوجود بِما يَستَصْغِرُ الممكناتِ أنْ يَخشاها

سؤددٌ قارَعَ الكواكبَ حتى جاوَزَتْ نيِّراتُهُ جَوْزاها

بأسُهُ مُهلكٌ وأدنى نَداهُ منقذُ الهالكينَ من بأساها

كم سَخَا مُنعماً فأَعتَقَ قوماً وكذا أكرم الطباعِ سَخاها

كم نوالٍ له عقيبَ نوالٍ كسيولٍ جرت إلى بَطحاها

إنَّما الكائناتُ نقطةُ خطٍّ بيديهِ نعيمُها وشقاها

كلُّ ما دونَ عالمِ اللَّوحِ طوعٌ لِيَدَيْ فضلِهِ الذي لا يُضاهى

هِمَمٌ قُلِّدت من اللهِ سَيفاً ما عَصَتْهُ الصعابُ إلا بَراها

عزماتٌ مُحِيلَةٌ لو تمنَّتْ مُستحيلاً من المُنى ما عصاها

لا تسلْ عن مكارمٍ منه عمَّتْ تلكَ كانت يداً على ما سِوَاها

جوهرٌ تعلم الْفِلِزَّات منْ كلِّ القضايا بأنَّه كِيْمِيَاها

حازَ من جوهرِ التَّقدُّسِ نَفساً تاهتِ الأنبياءُ في مَعناها

لا تُجِلْ في صِفاتِ «أحمدَ» فِكْراً فهيَ الصورةُ التي لن تَراها

تلك نفسٌ عزَّتْ على اللهِ قَدراً فارتضاها لنفسِهِ واصطفاها

صيغَ للذِّكر وحده والإلهيُّون كانتْ في الذِّكْرِ عنه شِفاها
سلْ ذواتِ التمييز تُخبِرْكَ عنه أنَّ حال التوحيد منه ابتداها
حازَ قُدسيةَ العلومِ وإن لم يُؤتَها «أحمدٌ» فمن يُؤتاها
عَلَمٌ أقسَمتْ جميعُ المعالي أنه ربُّها الذي رَبَّاها
يَصْدُرُ الأمرُ عن عزائمِ قدسٍ ليست السبعةُ السَّواري سِواها
بطلٌ طاول الظُّبَى والعَوالي بيَدٍ لا يَطولُها ما عَداها
إنَّما عاشتِ السماواتُ والأر ضُ ومَن فيهما على جدواها
لا تَضع في سِوَى أياديه سُؤْلاً ربما أفسد المُدام إنَاها
عُدْ إلى بعضِ وَصْفِهِ تَلْقَ كليَّاتِ مجدٍ لم تَنحصِر أَجزاها
ذَاك لو لم تَلُحْ عَوالمُ عقلٍ منه لم يَعرفِ الوجودُ إلَها
شمسُ قُدسٍ بَدَت فحقَّ انشقاقُ البدرِ نصفَينِ هيبةً لِبَهَاها
أيُّ أرضيَّةٍ عَصَت لم يَرْضَها أو سماويَّةٍ سَمت ما سَماها
من تَسنَّى متن «الْبُراق» ليَطوي صُحْفَ أَفلاكِها به فَطواها
وتَرقَّى «لقابَ قَوسَينِ» حتى شاهدَ القِبلةَ التي يَرضاها
حيثُ لا هَمْسَ لِلعبادِ كأنَّ اللهَ من بعدِ خَلقِها أفناها
داسَ ذاكَ البِساطَ منهُ برِجلٍ نَيِّرا كلَّ سؤددٍ نعلاها
وعلى مَتنِهِ يدُ اللهِ مُدَّت فأفاضَت عليهِ رُوحَ نَداها
وأراهُ ما لا يُرى من كُنوزِ الصَمَدانِيَّةِ التي أخفاها
ليتَ شِعري هَلِ ارْتَقى ذَروةَ الأَفلاكِ أم طَأْطَأَت له فرَقاها
أم لسرٍّ من مالكِ المُلك فِيه دونَ مِقدار لحظةٍ أنهاها

كم روَى العسكرُ الذي ليس يُحصى حيثُ حرُّ الرُّبى يُذيبُ حَصاهـا
وأعـادَ الشمسَ المنيـرةَ قَسـراً   بعـدما عـاد ليلُها يَغشـاهـا
وأظلَّت عليـهِ مـن كُلَلِ الـسُّحب ظِـلالاً وَقَتْـهُ مـن رَمْضـاهـا
واخْضِـرارُ العصـا بِيُمْنَى يَـدَيْـهِ   كـاخضِرارِ الآمـالِ من يُسراها
وكـلامُ الصَّخـرِ الأصَمِّ لَـديـهِ   معجـز بـالهُدى الإلَهيِّ فـاهـا
وسمتْ بـاسمِـه سفينـةُ نُـوحٍ   فـاستقرَّتْ بـه على مَجراهـا
وبـه نـال خِـلَّة اللهِ إبـراهيـمُ والنـارَ بـاسـمِـهِ أطـفـاهـا
وَبِسِـرٍّ سَـرَى في ابـنِ عِمْـرَا   نَ أَطاعتْ تلكَ اليمينُ عَصاها
وبـه سخَّـر المقـابـرَ عيسى   فـأجـابت نِـداءَهُ مَـوْتـاهـا
وهـو سرُّ السُّجـودِ في المـلإِ الأعْلىٰ ولـولاه لم تُعفِّـرْ جِبَـاهـا
وهـو الآيـةُ المحيـطةُ في الكـو   نِ ففي عينِ كـلِّ شيءٍ تـراهـا
الفـريـدُ الـذي مفـاتيـحُ عِلمٍ الـواحـدِ الفـرْدِ غيـرَه مـا حَـواها
هـو طـاووسُ روضـةِ الملكِ بـل نـامـوسُها الأكبـرُ الـذي يَـرعـاهـا
وهـو الجـوهـرُ المجرَّدُ منـه   كـلُّ نفسٍ مليكُهـا زكَّـاهـا
لم تكـن هـذه العنـاصـر إلَّا   من هَيُـولاهُ حيثُ كـان أبـاهـا
من يَلِجْ في جنـانِ جَدْوى يَـديهِ   يَجِدِ الْحُورَ من أقـلِّ إمـاهـا
مـا حبـاهُ اللهُ الشفـاعـةَ إلَّا   لكنـوزٍ مـن جـاهِـهِ زَكَّـاهـا
مـا رأت وجهَـهُ الغَمـامـة إلَّا   وأراقتْ منـه حيـاءً حَيَـاهـا
ثِق بِمعـروفِـهِ تَجِـدْهُ زَعيمـاً   بنجـاةِ العُصـاةِ يـومَ لِقـاهـا
كيف تَـظْمَا حَشَـا المحبِّين منـهُ   وهـو من كـوثـرِ الـوِدادِ سَقـاهـا

شـربـةً أعـقبـتـهـمْ نـشـواتٍ رقَّ نَشـوانها ورَاقَ انْتِشَـاهـا

لا تخفْ من أَسَى القيامةِ هـولاً كـشفَ الله بـالـنبـيِّ أسـاهـا

مـلكٌ شَـدَّ أَزْرَهُ «بـأخـيـه» فـاستقـامتْ من الأُمـورِ قَناهـا

أسـدُ اللهِ مـا رأتْ مـقـلتـاهُ نـارَ حربٍ تَشِبُّ إلَّا اصطَلاهـا

فـارسُ المؤمنين في كلِّ حـربٍ قُـطْبُ مِحْـرَابِها إمامُ وَغـاهـا

لم يَخُضْ في الهياجِ إلا وأبدَى عـزمـةً يتَّقي الـرَّدى إيـاهـا

ذاك رأسُ المـوحِّـدينَ وحـامي بيضـةِ الـدينِ من أكُفِّ عِـداهـا

جـمـعَ اللهُ فيـه جـامـعَـة الـرُّسـلِ وآتـاهُ فـوق مـا آتـاهـا

وإذا مـا انْتَمَتْ قَبـائـلُ حيٍّ المـوتِ كـانت أسيـافُـه آبـاهـا

من تَـرى مثله إذا صرَّت الحر بُ ودارتْ على الكُماة رُحاهـا

ذاك قمقـامُها الـذي لا يـروِّي غيـرَ صَمصامِـهِ أُوَامَ صَداهـا

وبـه استفتحَ الهُـدى يَومَ (بـدرٍ) مِن طُغـاةٍ أبتْ سـوى طَغـواهـا

صبَّ صوبَ الرَّدى عليهم هُمامٌ ليسَ يَخشى عُقبى التي سَوَّاها

يـوم جاءتْ وفي القلوبِ غَليـلٌ فسقـاهـا حسـامُهُ مـا سَقـاهـا

كيف يخشى الـذي لـه مَلكـوتُ الأمنِ والنَّصـرِ كُلِّهِ عُـقبـاهـا

فـأقـامتْ مـا بينَ طَيشٍ ورعبٍ وكفـاهـا ذاك المُقـام كَفـاهـا

ظهرتْ منه في الـوغى سَطَواتٌ مـا أتى القـومُ كلُّهم مـا أتـاهـا

يوم غصَّت بجيشِ (عَمْرِو بْنِ وَدٍّ) لَهَـواتُ الفـلا وضـاقَ فَضـاهـا

وتخـطَّى إلى المـدينـةِ فـرداً بـسـرايـا عــزائـمٍ سـاراهـا

فـدعـاهـم وهم أُلـوفٌ ولـكنْ ينـظرون الـذي يَشِبُّ لَـظاهـا

أين أنتم عن قَسْوَرٍ عـامـريٍّ   تتَّقي الأُسدُ بأسه في شَراها
فـابتدا المصطفى يحدِّث عمّـا   تُؤْجَرُ الصابرونَ في أُخْراها
قـائـلاً إنَّ للجليـلِ جِنـانـاً   ليس غيرُ المجاهدين يراها
أين مَن نفسـهِ تَتُـوقُ إلى الجنَّـات أو يـوردُ الـجحيمَ عـداهـا
مَنْ لِعَمْـرٍو وقـد ضَمِنت على اللهِ لـه من جِنـانِـهِ أعـلاهـا
فَـالْتَوَوا عن جَـوابِـهِ كسَـوامٍ   لا تَـراها مُجيبـةً مَنْ دَعـاهـا
وإذا هُـمْ بِـفـارسٍ قُـرشـيٍّ   تَـرْجُفُ الأرضُ خِيفَةً إذ يَطاها
قـائـلاً مـا لَها سِـوايَ كَفِيـلٌ   هـذهِ ذِمَّـةُ عَـلَيٍّ وَفـاهـا
وَمَشَى يـطلبُ الصفوفَ كمـا تَمشي خِمـاصُ الْحَشا إلى مـرعـاهـا
فـانـتضَى مِشْـرَفِيَّـهُ فتلقَّى   سـاقَ عمرٍو بضـربـةٍ فَبـراهـا
وإلى الحشـرِ رنَّـةُ السيفِ مِنـه   يملأُ الْخَـافِقَيْنِ رَجعُ صَـداهـا
يـا لَها ضـربةً حَـوَتْ مَكـرُمـاتٍ   لم يَـزِنْ ثِقْـلَ أجـرِهـا ثَقَـلاهـا
هـذه من عُلاهُ إحْـدَى الْمَعَـالي   وعلَى هـذِهِ فَقِسْ ما سِـوَاهَا
و(بـأُحْدٍ) كم فـلَّ آحادَ شُـوسٍ   كلَّمـا أُوقـدوا الـوغَى أطفـاهـا
يـومَ دارتْ بـلا ثـوابـتَ إلاَّ   أسـدُ الله كـان قُـطْبَ رَحـاهـا
كيف لـلأرضِ بـالتمكُّن لـولا   أنّـهُ قـابضٌ عـلى أرجـاهـا
رَبُّ سُمرِ القَنا وبيضِ المواضي   سبَّحت بـاسم بـأسِهِ هَيجـاهـا
يـومَ خانتْ نَبـالَةُ القـومِ عهـداً   لنبيِّ الهُـدى فَخـابَ رَجـاهـا
وتـراءتْ لـهـا غنـائِمُ شَتَّـى   فـاقتفَى الأَكثرون إِثْـرَ ثَـراهـا
وَجـدتْ أنجُم السعـودِ عليـه   دائِـراتٍ ومـا دَرَتْ عُقبـاهـا

فِئةٌ ما لَوَتْ من الرُّعبِ جِيداً ... إذ دَعاها الرسولُ في أُخراها
وأحاطت به مذاكي الأعادي ... بعدما أشْرَفت على استيلاها
فترَى ذلك النفيرَ كما تَخبِطُ ... في ظُلمةِ الدُّجى عَشواها
يتمنَّى الفتى ورودَ المنايا ... والمنايا لو تُشْتَرى لاَشْتراها
كلَّما لاحَ في المهامةِ برقٌ ... حسِبْتهُ قَنا العِدى وظُباها
لم تَخَلْها إلاَّ أضالِعَ عُجْفٍ ... قد بَراها السُّرَى فحلَّ بُراها
لا تَلُمْها لحَيرةٍ وارتياع ... فَقَدتْ عِزَّها فعزَّ عَزاها
إنْ يفُتْها ذاك الجميلُ فعذْراً ... إنَّما حِيلةُ الرجالِ حِجاها
لدغتْها أفعالُها أيَّ لَدغٍ ... رُبَّ نفسٍ أفعالُها أفعاها
قد أراها في ذلك اليوم ضرباً ... لو رأتْهُ الشُّبانُ شَابت لِحاها
وكَساها العارَ الذَّميمَ بطعْنٍ ... مِن حُلى الكِبْرياءِ قد أعراها
يومَ سالَت سَيلَ الرِّمالِ ولكن ... هبَّ فيها نسيمُهُ فَذراها
ذاك يومٌ جبريلُ أنشدَ فيه ... مِدَحاً ذو العُلى له أنشاها
لا فتىً في الوجودِ إلاَّ عليٌّ ... ذاك شخصٌ بمثلِهِ اللهُ باهَى
لا تَرُمْ وَصفَهُ ففيهِ مَعانٍ ... لم يَصفْها إلاَّ الذي سَوَّاها
من رآهُ رأى تماثيلَ قُدْسٍ ... عن ثناءِ الإلَه لا تتَلاهى
وُسِمَتْ في ضميرهِ حضرةُ القدْ ... سِ فأنَّى يَفوتُهُ ذِكْراها
ما حَوى الخافِقانِ إنسٌ وجنٌّ ... قَصباتِ السبقِ التي قد حَواها
أَلِفَتْهُ بِكرُ العُلى فَهْيَ تَهوى ... حُسنَ أخلاقِهِ كما يَهواها
شَقَّ من ذِكرِهِ العَليُّ له اسماً ... فهو ذاتُ العلياء جلَّ ثناها

مــلأ الأرض بـالــزلازل حتى زادَ من أرؤسِ الكُمـاةِ رُبـاهـا
لا تَخلْ سيفَه سوى نفخةِ الصُّـو رِ يَسُــلُّ الأرواحَ من أشــلاهـا
فكـأنَّ الأنفـاسَ قـد عـاهَـدتْـهُ بجَفـاءِ النفـوسِ مهمـا جَفـاهـا
كم شَرَى أَنْفُسَ الملوكِ الغَوالي بـالعـوالي فـأرْخَصت مُشتـراهـا
واستحالت من الصَّوارِمِ حُمـراً كـفـتـاةٍ تـورَّدت وَجْـنـتـاهـا
فــأبـانَ الأعنــاقَ عن مـركــزِ الأبـدانِ حتى كــأنَّ نــافٍ نَفــاهــا
وأعـاد الأجسـامَ قَفـراً من الأر واحِ يبكي علىٰ الأنيسِ صَداها
كم عقـولٍ أطاشَهـا وهي لو تَـر مي نجومَ الدُّجى لحطَّت سهاها
وعيـونٍ لم يُقْذِهـا صَـرفُ دهـرٍ مُــذْ رَمـاهــا بِبـأسِــهِ أقـذاهــا
قـادَ تلكَ االملوكَ قودَ المـواشي وعلى صفحـةِ القلوبِ كَـواهـا
ولــهُ يــومَ (خَـيبــر) فَـتكَــاتٌ كبــرتْ منــظراً على مَن رَآهــا
يــومَ قــالَ النبيُّ إنّي لأُعــطي رَايتي لَيثَهــا وحـامي حِمــاهــا
فـاستـطالتْ أعنـاقُ كـلِّ فـريقٍ ليَــروا أيَّ مــاجـدٍ يُعـطاهــا
فـدعــا أينَ وارثُ العِلمِ والحلمِ مُجيـرُ الأيـامِ مِن بــأسـاهــا
أين ذو النَّجـدةِ الـذي لَـوْ دَعتـه في الثُّـرَيَّا مَـروعــةٌ لَبَّــاهــا
فــأتــاهُ الــوصيُّ أرمــدَ عيـنٍ فَسقــاهُ مِـن رِيقِــهِ فَـشفــاهــا
ومَضى يـطلبُ الصُّفوفَ فـولَّتْ عنــهُ عِلمـاً بــأنَّــهُ أمضــاهــا
وَبَـرى (مَـرحَبــاً) بكفِّ اقتـدارٍ أقـويـاءُ الأقـدارِ من ضُعَفـاهــا
ودَحــا بــابَـهــا بقــوةِ بــأسٍ لَـو حَمتْها الأفـلاكُ منه دَحـاهـا
عــائـدٌ لِـلمـؤَمِّـلينَ مـجيـبٌ سَـامـعٌ مــا تُسِـرُّ مِن نَجـواهـا

إنَّما المُصطفى مَدينةُ عِلْمٍ وَهو البابُ مَن أتاهُ أتاها
وهما مُقلتا العوالمِ يُسرا ها عليٌّ، وأحمدُ يُمناها
مَن غَدا مُنْجِداً لهُ في حِصارِ الشِّعبِ إذْ من قريشٍ جفَاها
يومَ لم يُرْعَ للنَّبيِّ ذِمامٌ وتَواصَت بقَطْعِهِ قرباها
فئةٌ أَحدَثَتْ أحاديثَ بغيٍ عجَّلَ اللهُ في حُدوثِ بلاها
فَفَدى نفسَ أحمدٍ منهُ بالنَّفسِ ومِن هولِ كلِّ بُؤسٍ وَقاها
كيف تَنفكُّ بالملمَّاتِ عنهُ عِصمةٌ كانَ في القديمِ أخاها
عَزْمَةٌ قَصَّرت أُولو العَزم عَنها أينَ أُولى الجِيادِ من أُخراها
عزمةٌ عرْضُها السماواتُ والأر ضُ أحاطَتْ بِصُبحِها ومَساها
وإذا لم تُحِطْ بِمَعناهُ عِلماً فاسألِ العُربَ مَن أَطَلَّ دِماها
وغَزاها في كلِّ دَوٍّ ببأس لو تعاصَت غولُ الفَلا لعَصاها
وسَقاهم صُمَّ الأنابيبِ حتى شَرِقَتْ شُوسُها بِكأسِ رَداها
لم تَرد مَورداً مِن الماءِ إلَّا وَرَأَتْ ظِلَّ شَخْصِهِ تِلقاها
كَيفَ لا تتَّقي مَضارِبَ قومٍ يَصعقُ الموتُ مِن سَماعِ صَداها
كُلَّما حُلَّت العُقودُ أصابت ناظِماً ينظِمُ القَنا في كِلاها
ومَن اقتادَ بالحِبالِ قُريشاً بعدما طاولَ الجبالَ إباها
وأراها اليومَ الذي ما رأتْهُ فلِهذا أَلقَت إليهِ عَصاها
مَلأت منهم الثَّرى ظُلماتٌ وبِنوريةِ الحُسامِ جَلاها
عَسْعَسوا كالدُّجى ولَكِنْ أصابوا نيِّراتٍ يجلو الظَّلامَ ضُحاها
أحكَمَ اللهُ صَنْعَةَ الدِّينِ مِنْهُ بفَتى أَحكَمَت يَداهُ سُداها

لا تَقِس بـأْسَه بِبـأْسِ سِـواهُ | إنَّما أفضَلُ الـظُّبى أمضاهـا
جسَّ نَبْضَ الـطُّلَى فَلَم يَرَ إلَّا | مُـرهَفَ الحَـدِّ بُـرأَها فَبـراهـا
كـلّمـا ضَلَّتِ الـمنيَّـةُ عنـهُ | جَـعَلتْـهُ دَلـيلَهـا فَـهـداهـا
كم لِكَفَّيـهِ فِي صُـدورِ صُـدورٍ | طَعنَـةٌ يَسبقُ القَضـاءَ قَضـاهـا
لستُ أَنسى للدهـرِ رُمْـدَ أمـاقٍ | مـا جَلا غيـرَ ذي الفِقار جَـلاها
كـم عُتـاةٍ أذلَّـهـا بـعـدَ عـزٍّ | وعُفـاةٍ بعـدَ العَفـا أَغنـاهـا
لـو تَرى المُـرهفاتِ تَشكـو إليـهِ | حـالَهـا وَهْـوَ راحمٌ شَكْـواهـا
لَـرأيتَ الـدِّمـاءَ يَسبَـحُ فيهـا | مِن أعـالي الجبالِ شُمَّ ذُراهـا
فَاضَ مِنها ما لم يَفِضْ من سَحابٍ | لـو رآها السَّحـابُ لاستَجـداهـا
كـلَّ يـومٍ يجـرد الـطعنُ منـهُ | همَّـةً تَمسـحُ الْكُمـاة يَـداهـا
أعلمُ النـاسِ بالـوغى كم معانٍ | من طِعـانٍ على يـدَيـه ابتـداهـا
كيف تَخفى صناعةُ الحربِ عنهُ | وجميعُ الـذرّاتِ قـد أحصـاهـا
عـزمـاتٌ تَحفُّهـا عـزمـاتُ | كـلُّ يُمنىً تَنحطُّ عن يُسـراهـا
عـزمـاتٌ مـؤيَّـداتٌ بـروحٍ | لا تَـرى الخلقَ ذرَّةً من هَبـاهـا
رائـدٌ لا يـرودُ إلَّا الـعـوالي | طـابَ مِن زَهرةِ القَنـا مُجْتَنـاهـا
جـاءَ بـالسيفِ هـادياً للبَـرايـا | حيثُ لم يُثنِهـا الهُـدى فَثَنـاهـا
مَن تلقّى يـد (الوليـدِ) بضـربٍ | حيـدريٍّ بَـرْيَ اليَـراعِ بَـراهـا
وسقَى منـه (عُتبةً) كـأسَ بؤسٍ | كان صِرْفاً الى المعادِ احْتِسـاها
ورأى تِيـه «ذي الخِمـار» فَـرَدَّا | هُ منَ الـذلِّ بُـرْدَةً مـا ارتـداهـا
لستُ أنْسَى لـهُ شياطينَ حَـربٍ | بِـإلَـهـيٍّ بـأسِـه أخـزاهـا

ذاكَ من ليس تُنكِرُ الحربُ منه بـارِقاتٍ يَجلو الظـلامَ ضُحاهـا
كم رَمَى راحـةً فشلَّت وكـانت قلَّةٌ ليس يَـلتـوي عِـطْفَـاهـا
ولـه من أشعَّةِ الفضـلِ شمسٌ ودَّتِ الشمسُ أن تكونَ سَماها
أعِـد الفِكْـرَ في مَعـانيـهِ تَنـظرْ كيف يُحيي الأجسام بعد فَناها
واسـألِ الأنبيـاءَ تُنْبِئْـك عنـه أنّـه سِـرُّهـا الـذي نَبَّـاهـا
وكـذا فـاسـألِ السمـاواتِ عنـه من أطـاعتْ لِـوَحْيِهِ يـوحـاهـا
ومـن استـلَّ لـلحـوادِثِ رَأيـاً كَسَنـا الْمُبْرِقـاتِ يَفري دُجـاهـا
وامتطَى الكاهلَ الذي قد أَمَرَّتْ قُـدرةُ اللهِ فـوقَـهُ يُـمنـاهـا
ذاك يُحيي الموتى وإن كان يُرْدِي كـلَّ نفسٍ أخنى عليها خَنـاهـا
كَمْ نفـوسٍ تُصِحُّهـا عِلَلُ الفَقـرِ ولَـوْ نـالَهـا الغِنَى أطغـاهـا
حسب أهـلِ الضلالِ منه نبالٌ هي مـرمَى وَبَـالِهَـا وَبَـلاهـا
قـائمٌ في زكـاةِ كـلِّ المعـالي دائـمٌ دأبُـهُ عـلى إيـتـاهـا
لـو سَرتْ في الثَّرى بقيـة طلٍّ من نَـداه لـروَّضت حَصبـاهـا
كم أدارتْ يـداهُ أفـلاكَ مجـدٍ مستمـرٌّ على الـزَّمـان بقـاهـا
ذاك مِن جَنَّـةِ المعـالي كـطوبَى كـلُّ شـيءٍ تُـظلُّهُ أفـيـاهـا
ذاك ذو الـطلعـةِ التي تتجـلَّى خفـراتُ الجمال دون اجتلاهـا
إيْ وعَينَيــهِ لا أكـاليـلَ فضـلٍ لِمُلوك الْـمُلوكِ إلا احتـذاهـا
لُذْ إلى جُودِه تجـدْ كيف يُهدي حُلل المكـرمـاتِ من صَنعـاهـا
كـم لـه مـن روائـحٍ وغـوادٍ مَـدَدُ الفيضِ كـان من مَبْداهـا
كم لـه شمسَ حكمـةٍ تتمـنّى غُـرَّةُ الشمس أن تكون سَمـاهـا

لم تـزل عنـده مفـاتيـحُ كشفٍ قد أماطت عن الغيـوب غِطاهـا
رُبَّ حـالَـيْ أوامـرٍ ونـواهٍ ليس يَرضى القضاءُ دون رضاها
بـأبي ذويـدٍ عن الله تَـرمـي أيُّ سهـمٍ لله فـي مَـرمـاهـا
هـي طَـوراً مُـديـرةٌ فَـلَكَ الأُخْـرى وطـوراً مـديـرةٌ أولاهـا
ومَن المهتـدي بيـوم «حنـين» حين غـاوي الفرار قـد أغـواهـا
حيث بعضُ الرجالِ تهرب من بيضِ المواضي والبعضُ من قتلاها
حيث لا يَلتوي الى الإلف إلفٌ كُـلُّ نفسٍ أطاشهـا مـا دَهـاهـا
مَن سقاها في ذلك اليوم كـأساً فـائضـاً بـالْمَنـون حتى رَواهـا
أعجبَ القـومَ كثـرةُ العـدِّ منهـا ثم ولَّتْ والـرُّعبُ حَشْوَ حَشـاها
وَقفـوا وقفـةَ الـذليـل وفَـرُّوا من أُسـودِ الشَّرى فِـرَارَ مَهـاهـا
وَعَـلِيٌّ يَـلْقـى الأُلُـوفَ بـقـلب صَـوَّرَ اللهُ فيـه شكـلَ فَنـاهـا
إنَّمـا تَفْضُـلُ النفـوسُ بجـدٍّ وعـلى قَـدْرِهِ مقـامُ عُـلاهـا
لَـوْ دعتْ كَفُّـه بغيـرِ جِـرَابٍ أجَـلَ الخلقِ لاستجابَ دُعـاهـا
لَـو تـراه وجُـودُه مـستبـاحٌ قبـلَ كشفِ الْعُفـاة سرَّ عَفـاهـا
خِلْتَ من أعظمِ السحائبِ سُحْباً سقَتِ الروضَ قبل ما استسقاها
وهْوَ للدائراتِ دائرةُ السعد أَلَا ساءَ حظُّ مَنْ ناواها
هِـمَـمٌ لا تـرى بـهـا فَـلَكَ الأفـلاك إلا كـحبَّـةٍ فـي فَـلاهـا
لم يَـدَعْ ذلـك الـطبيبُ كُلوماً قـد أساءتْ بـالدَّهـر إلا أساهـا
وأيـاديـهِ لم تُقَسْ بـالأيـادي أين مـاءُ العيـونِ من أَصـداهـا
صادقُ الفعلِ والمقـالةِ يَحـوي غـرةً، مثـلُ حُسْنِـهِ حُسْنـاهـا

كم رمَى بَهْمَةً بلحظةِ طَرْفٍ　　　كان ميقاتُ حَتْفِهِ مَرْماها

خاطَ للعنكبوت نَسْجَ الرُّدَيْـ　　　ـنِيِّ وأبياتَ عَزْمِهِ أوهاها

وأقامَ الْجَهُول بالسيفِ رغماً　　　هل تقومُ الدنيا بغير ظُباها

باسطٌ عن يدِ الإلـه يَميناً　　　يُرسل الرزقَ للعباد عَطاها

قابضٌ عن جَلالـه بِجِلادٍ　　　لو بدت صورةُ الرَّدى أرداها

رُبَّ صَعْبٍ من جامحاتِ العوادي　　　قادَهُ مِن يَمينه إيماها

قد أعادَ الهُدى وغيرُ عجيبٍ　　　أن يُعيدَ الأَشياءَ مَنْ أبداها

بأبي منشيءُ الحوادثِ كم صو　　　رةَ حتفٍ بِزَجْره أنشاها

كانتِ الْعُرْبُ قبلَ قُوَّةِ يُمنا　　　هُ عُروقاً لا تلتوي فَلَواها

وأراها طعناً يفلُّ عُرَى الصبرِ وضَرْباً يحلُّ عَقْدَ عُراها

فاستعاذتْ من ذاك بالهرَب الأقصى لتنجو به فما أُنجاها

لا تَخَلْ مَهربَ الجبان يُنَجِّيهِ إذا مدَّتِ المنايا خُطاها

جرَّ طَغْوَاهُمُ الوبالَ عليهمْ　　　رُبَّ قومٍ أذلَّها طَغواها

كان ملءَ الثرى ضلالٌ وبغيٌ　　　لكن السيفُ منهما أخلاها

لم تَفُهْ مِلَّةٌ من الشركِ إلاَّ　　　فَضَّ بالصارمِ الإلَهِيِّ فاها

وطَواها طيَّ السجلِّ هُمَامٌ　　　نَشرَ الحرب عِلْمُه وطَواها

لم يَدَعْ سيفُهُ حشاً قَطُّ إلاّ　　　وبِفَوَّارةِ الغليلِ حَشاها

سَلْ كُماة الأبطالِ مِنْ كلِّ حيٍّ　　　غيرُ ذاك الكميِّ مَنْ أفناها

كم عَرَا مُشْكِلٌ فحلَّ عُراه　　　ليس للمشكلاتِ إلاَّ فَتاها

هل أتتْ (هَلْ أتى) بمدح سِوَاهُ　　　لاَ ومَولىً بِذِكْرِهِ حَلاَّها

فَتَــأمَّــلْ (بِعَمٍّ) تُنْبِئْـكَ عنــه   نَبــأً، كــلُّ فــرقــةٍ أعيــاهــا
وبمعنى (أَحَبُّ خَلْقِـك) فـانـظرْ   تَجِد الشمسَ قد أزاحتْ دُجاها
واسأَلِ الأعصُرَ القـديمـةَ عنـه   كيف كـانت يـداهُ روْحَ غـذاهـا
وهـو عَلَّامـةُ المـلائـكِ فـاسأَلْ   رُوح جِبـريلَ عنـه كيف هَداهـا
بـل هو الـروح لم يزل مستمـدّاً   كــل دهـرٍ حيـاتـه من قُــواهـا
أي نـفس لا تهتــدي بـهــداهُ   وهـو من كـلِّ صـورة مقلتاهــا
وتَفَكَّــرْ (بـأنتَ منِّي) تَجِـدْهـا   حكمـةً تـورث الـرُّقُـودَ انتبـاهـا
أَوَمـا كان بعـدَ (مـوسى) أخـوه   خيـرَ أصحـابـه وأكـرمَ جــاهـا
لـيس تَخـلو إلاَّ الـنبـوَّةُ مـنــه   ولهـذا خيـر الـورى استثنـاهـا
وهـو في آيـة (التبـاهُـل) نفسُ   المصــطفى ليس غيــرُه إياها
ثـم سَــلْ (إنمــا وَلِـيُّكـم الله)   تَــرَ الإعْـتِبَــارَ فـي مَعنــاهــا
آيــةٌ خَــصَّــتِ الـولايــةَ للهِ ولــلطُّهــر حــيـدرٍ بــعــد طَـه
آيــةٌ جـاءت الـولايــة فـيهـا   لثلاث يعدو الهـدى مَنْ عَداهـا
وَبِسَــدٍّ الأبــواب أي افتــتــاحٍ   لكنــوز الهـدى فَفُــزْ بِغِنَــاهــا
مَن تَـولّى تغسيـلَ (سلمـانَ) إلا   ذاتُ قـدسٍ تَقـدَّست أسمـاهـا
ليلةً قـد طوى بهـا الأرض طيّـاً   إذ نَــأَتْ دارُه وشطَّ مَــداهــا
و(ابنُ عَفَّـانَ) حـولَـه لم يُجَهِّـزْ   هُ ولا كـفَّ عـنـه كَـفَّ أذاهــا
لست أدري أكــان ذلـك مقتـاً   مـن علـيٍّ أم عــفــةً ونَــزاهــا
فَلَكٌ لم يــزلْ يـدورُ بــه الحقُّ ، وهــل للنجــوم إلا سمــاهـــا؟
وَ«بِخُمٍّ» مــاذا جـرى يـومَ خُـمٍّ   تلك أُكْـرُومـةٌ أبتْ أَن تُضَـاهَى

ذاك يـومٌ من الـزمـان أبـانتْ مِلَّةُ الحقِّ فيـه عن مُقتـداهـا
كم حوى ذلك «الغدير» نُجـوماً ما جرتْ أنجُمُ الدُّجى مَجراها
إذ رقَى منبـرَ الحـدائـجِ هـادٍ طـاول السبعـةَ الْعُلَى بِـرُقـاهـا
مـوقفـاً لـلأنـام في فـلواتٍ وَعِـرَاتٍ بالقيظ يَشـوي شَـواها
خـاطبـاً فيهم خـطابـةَ وحيٍ يـرثُ الـدينَ كلَّه مَن وَعـاهـا
أيُّهـا النـاس لا بقـاءَ لحيٍّ آن مِنْ مُـدَّتي أوانُ انْقِضَـاهـا
إنَّ رَبَّ الـورى دعـانِي لحـالٍ قبـل أن يَخْلُقَ الـورى أقضـاهـا
أنْ أُوَلِّي عليـكمُ خيـرَ مَـوْلىً كلمـا اعتلَّتِ الأُمـورُ شَفـاهـا
سيِّـداً من رجـالكم هـاشميـاً صـافحتْهُ العُلَى فطاب شَذاهـا
صـالحُ المؤمنين سرُّ هُـداهـا عـظَّمَ الـذكـرُ نَفْسَـهُ فَكَنَـاهـا
صـاحبُ الهمَّـةِ التي لـو أرادتْ وطـأَتْ عـاتِقَ السُّهَى قَـدَمَـاهـا
فَتفكَّـرتُ في ضَمـائـرِ قـومٍ وهي مَـطْوِيَّةٌ على شَحْنـاهـا
وتَـطيَّـرتُ من مقـالـةِ قـومٍ قـد غَلا بـابنِ عمِّـهِ وَتَبـاهى
فَـأتتنـي عـزيمـةٌ مِنْ إلَهـي أوْعَـدَتْني إن لم أُبَلِّغ سُـطَاهـا
فهداني الى التي هي أهْدَى وحَباني بعِصْمةٍ مِنْ أذاها
أيُّهـا الناسُ حَـدِّثـوا اليـومَ عنِّي وَلْيُبَلِّغْ أدْنَى الـورَى أقصـاهـا
كُـلُّ نَفْسٍ كـانتْ تَـرَانِيَ مَـوْلىً فَلْتَـرَ اليـومَ حَيـدراً مَـولاهـا
رَبِّ هـذي أمـانـةٌ لـك عنـدي وإلـيـك الأمـيـنُ قـد أدَّاهـا
وَالِ مَنْ لا يـرى الـولايـةَ إلا لِـعَـلِيٍّ وعـادِ مَـنْ عـاداهـا
فَـأجـابـوا: بَخٍ بخٍ، وقلوبُ القـومِ تَغْلي عَلَى مَغـالي قِلاهـا

لم تَسَعْهم إلا الإجابةُ بالقول، وإن كان قَصْدُهم ما عداها

ثم لَمَّا مَضى القضاءُ بِرَوحا نيَّةِ الكونِ وانقضى رَيَّاها

وَجَدُوا فرصةً من الدهر لاحتْ فأصابتْ قلوبُهم مُشْتَهاها

قُلْ لِمَنْ أَوَّلَ الحديثَ سَفاهاً وَهْوَ إذ ذاكَ ليس يأبى السَّفاها:

أَتَرى أرجحَ الخلائق رأياً يُمْسِكُ الناسَ عن مَجاري سُراها؟

راكباً ذروةَ الحدائِجِ يُنبي عن أُمورٍ كالشمس رَأْدَ ضُحاها

أيُّها الراكبُ الْمُجِدُّ رُوَيْداً بقلوبٍ تَقلَّبتْ في جَواها

إن تراءتْ أرضُ الْغَرِيَّينِ فاخضعْ واخلعِ النعلَ دون وادي طُوَاها

وإذا شِمْتَ قُبَّةَ العالَمِ الأَعلَى وأنوارُ ربِّها تَغْشاها

فَتواضَعْ فَثَمَّ دارةُ قُدْسٍ تَتمنَّى الأفلاكُ لَثْمَ ثَراها

قُلْ له والدموعُ سفحُ عقيقٍ والجوَى تصطلي بنارِ غَضاها

يابنَ عَمِّ النبيِّ أنتَ يدُ الله التي عَمَّ كلَّ شيءٍ نَداها

أنت قُرآنُه القديمُ وأوصافُك آياتُه التي أَوحاها

خَصَّك اللهُ في مآثرَ شتَّى هيَ مثلُ الأَعداد لا تتناهَى

ليت عَيناً بِغَيرِ روضِك تَرعى قَذِيَتْ واستمرَّ فيها قَذاها

أنتَ بعدَ النبيِّ خيرُ البرايا والسما خيرُ ما بِهَا قَمَرَاها

لكَ ذاتٌ كذاتِهِ حيثُ لولاَ أنَّها مثلُها لما آخاها

قد تَراضَعْتُمَا بثديٍ وِصَالٍ كانَ مِنْ جَوهرِ التجلِّي غِذاها

يا عليَّ الْمِقْدَارِ حَسْبُك لاهو تيَّةٌ لا يُحاط في عَليَاها

أيُّ قُدْسٍ إليه طَبْعُك يُنْمَى وَالْمَراقي المقدسات ارتقاها

لك نَفْسٌ من جوهرِ اللُّطفِ صِيغَتْ	جعلَ الله كلَّ نفسٍ فِداها
هيَ قُطْبُ الْمُكَوَّناتِ وَلَولا	ها لَمَا دارتِ الرَّحى لَولاها
لك كفٌّ من أَبْحُرِ الله تَجري	أنهُرِ الأنبياء من جَدواها
حُزْتَ مُلْكاً من المعالي مُحيطاً	بأقاليمَ يستحيل انتهاها
ليسَ يَحكى دُرِّيَّ فَخْرِك دُرٌّ	أينَ مِنْ كُدْرَةِ المياه صَفاها
كلُّ ما في القضاء من كائناتٍ	أنت مَولَى بقائِهَا وفَناها
يا أَبَا النيِّرَينِ، أنت سماءٌ	قد مَحَا كلَّ ظُلمةٍ قَمَراها
لك بأسٌ يُذيب جامدةَ الكونَينِ رُعْباً ويُجْمِدُ الأَموَاها
زانَ شكلَ الوغى حسامُك والرمحُ كما زانَ غادةً قُرْطَاها
ما تَتَبَّعْتَ مَعْشَراً قَطُّ إلاَّ	وأناخَ الفنا بِعِقْرِ فِنَاها
كلَّما أحفتِ الوغَى لك خيلاً	أَنْعَلْتَهَا من الْمُلوك طُلاها
قُدْتَهَا قَوْدَ قادرٍ لم تَرُعْهُ	أُمَمٌ غيرُ مُمْكِنٍ إحصاها
لك ذاتٌ من الجلالةِ تَحوي	عَرْشَ علمٍ عليه كان اسْتِوَاها
لم يزلْ بانتظارك الدِّينُ حتى	جَرَّدتْ كفُّ عَزْمَتَيك ظُباها
فجعلتَ الرشادَ فوقَ الثُّريَّا	ومقامَ الضلال تحتَ ثَراها
فاستمرتْ معالمُ الدينِ تَدعو	لكَ طول الزمان فاغنمْ دُعاها
إنما البأسُ والتقى والعطايا	حَلَباتٌ بَلَغْتَ أقصى مَداها
لك مِنْ آدمَ القديمِ مَراعٍ	أُمَّةً بعدَ أُمَّةٍ تَرعاها
يا أخا المصطفى لديَّ ذنوبٌ	هي عينُ القذى وأنت جَلاها
يا غياثَ الصَّريخِ دعوةُ عافٍ	ليس إلاَّكَ سامعٌ نَجواها

كيف تَخشى العصاةُ بَلْوَى المعاصي   وبـك الله مُنقِـذ مُبْتَـلاهـا
لك في مُرْتَقى الْعُلَى والمعـالي   درجـاتٌ لا يُـرتـقَى أدْنـاهـا
عـرفت ذاتُـك القـديمـةُ مَـوْلا   كَ فـوحَّدْتَ في القـديمِ الإلَـها
أين مَعنـاك من مَعـاني أنـاس   كـان معبـودُهـا اتِّبـاعَ هَـواهـا
يـا خَـلِيـلَيَّ إنَّ للهِ خَـلْقـاً   حَسْبُهـا النارُ في غـدٍ تَصْلاهـا
سَبَحُوا في الضَّلال سَبْحاً طويلاً   وعلى الرُّشْدِ أُكْرِهُـوا إكْـراهـا
إن تناسيتُمـا (السقيفـةَ) والقـو   مَ فـإنـي واللهِ لا أنـسـاهـا
يـوم خُطَّتْ صحيفـةُ الغيِّ يُمْلِيهَـا عليهـا خُـدَّاعُهـا ودُهـاهـا
مـا اجتمـاعُ المهـاجـرين مـع الأنصـارِ فيهـا وقـد عَلَتْ غَـوْغَـاهـا
حيث قـالـوا مِنَّـا ومنكم أميـرٌ   ووزيـرٌ يُـديـر قُـطْبَ رَحـاهـا
وأرادوا لـهـا تـدابيـرَ سعـدٍ   فـارتضاهـا بعضٌ وبَعْضٌ أباهـا
أتَـراهـا دَرَتْ بـأمـرٍ عـتيـقٍ   فلمـاذا في الأمر طـال مِرَاهـا
إنْ تَكُنْ بيعـةُ الصَّحـابـةِ دِينـاً   لم يَحُـلْ عن مَحَلِّهـا أتقـاهـا
كيف لم يُسْـرِع الـوصيُّ إليهـا   وَهْـوَ بابُ العلوم بـل مَعنـاهـا؟
كيف لم تُقْبَـلِ الشهـادةُ من أحـمـدَ فيـه بـأنـه أقضـاهـا؟
بيعـةٌ أورثتْ جميـعَ البـرايـا   فتنـةً طـالَ جَـوْرُهـا وجَفـاهـا
بـل هي (الفلتةُ) التي زَعَمُـوهـا   كُفِيَ المسلمـون شَـرَّ أذاهـا
يـا تَرى هـل دَرَتْ لِمَنْ أَخَّـرَتْـهُ   عن مقـامِ الْعُلَى وَمَـا أدراهـا
أَخَّـرتْ أشبـهَ الـوَرَى بـأخيـه   هل رأتْ في أخِ النبيِّ اشْتِبَاها؟
كيفَ لم تَـأْمَنِ الأمينَ عـليهـا   وَهْـوَ في كـلِّ ذِمَّـةٍ أوفـاهـا

وَلَو أنَّ الأصحابَ لم تَعْدُ رُشْداً كانَ رُشداً فِرارُها من عِداها
أنبيٌّ بلا وَصِيٍّ؟ تعالى الله عمَّا يقوله سُفَهاها
زَعَمُوا أن هذه الأرض مَرْعىً تُرِكَ الناسُ فيه تَرْكَ سُداها
كيف تَخلو مِنْ حُجَّةٍ وإلى مَنْ حُجَّةٍ تَرجِعُ الناسُ في اختلاف نُهاها
وأرى السوءَ للمقادير يُنْمَى فإذاً لا فَسَادَ إلا قضاها
قد علمتم أنَّ النبيَّ حكيم لم يَدَعْ من أُموره أولاها
أم جَهِلْتُم طُرْقَ الصوابِ مِن الدِّين ففاتتْ أمثالَكُم مِثْلاها
هل تَرى الأوصياءَ يا سعدُ إلاّ أَقربَ العالَمين مِنْ أَنبياها؟
أوتَرى الأنبياءَ قد تخذوا الْمُشْرِكَ دَهراً بالله من أَوْصِيَاها؟
أَمْ نَبِيُّ الهدى رأى الرُّسْلَ ضَلَّتْ قبلَه فاقتفى خلافَ اقْتِفَاها؟
أومَا يَنظرون ماذا دهتهمْ قصةُ الغارِ من مَسَاوي دُهاها
يومَ طافتْ طَوائِفُ الحزن حتّى أَوهنت من جَنى عتيقٍ قُواها
إن يكن مؤمناً فكيف عَدَتْهُ يومَ خوفٍ سَكِينةٌ وَعَداها
إنَّ للمؤمنين فيها نصيباً وَهْيَ يوم الْوَبال أقصى وُقاها
كم وكم صحبةٍ جَرَتْ حيث لا إيمان والله في الكتاب حَكاها
وكذا في براءةٍ لم يُبَسْمِلْ حيث جلَّت بِذِكْرِهِ بَلواها
ثم سَلْهَا مِنْ بعدِ ما رَدَّ عنها صاحبَ الغار خائباً مَنْ تَلاها؟
أين هذا من راقدٍ في فراش المصطفى يَسمع الْعِدَى ويَراها
فاستدارتْ به عُتاةُ قريشٍ حيث دارتْ بها رَحَى بَغضاها
وأرادتْ به مكائدَ سُوءٍ فَشفَى الله دَاءَها بِدَوَاها

ورأتْ قَسْوَراً لَـوِ اعتـرضَتْـهُ الإنسُ والجنُّ في وغىً أفنـاهـا
مـدَّ كَفُّ الرَّدى فَلَوْ لَم تكفكفْ عنـه آثـار بغيهـا لَمَحَـاهـا
نـظرتْ نـظرةً إليـه فـلاقتْ قـدرةَ الله لا يُـرَدُّ قَـضَـاهـا
فَتـولَّتْ عنـهُ ، وللرُّعب فيهـا فَـلَكٌ دائـرٌ عـلى أعـضـاهـا
بـأبي مَنْ غـذا يؤدِّي أمـانـا ت أخيـهِ حتـى أَتَـمَّ أَداهـا
بـأبي مَنْ حَمَى بـطعنِ الْعَوالي حَـرَمَ المصطفى وصانَ خِبَاهـا
رتبـةٌ سَلْ بهـا العـظيمَين جِبريـلَ وَميكـالَ كيف قـد خَـدَمَاهـا
صـاحَ مـا هؤلاء في النـاس إلَّا كعيـونٍ داءُ العمَـى أعيـاهـا
أَلَـهـا مـنـظرٌ لإدراك مـرأىً أَمْ لهـا مسمـعٌ لِمَنْ نـاجـاهـا
أهُمُ خيـرُ أُمَّـةٍ أُخْـرِجَت لِلنَّـاس ؟ هَيهـاتَ ذاك بـل أشقـاهـا
أتـراهـا مـن وُلْـدِ آدمَ حـقّـاً أم سَـوَامٌ كـانت لهم أشبـاهـا
أيُّ مـرمىً من الْفَخَار قـديمـاً أو حـديثـاً أصـابـه شَيْخَـاهـا
أيُّ أُكـرومـةٍ ولَـو أنّـهـا قَلَّتْ ودقَّـتْ إليـهـمـا مُنْتَمَـاهـا؟
أَلِـزُهْـدٍ في الجـاهليَّـةِ عمَّـا عَهِـدَتْـهُ الأيـامُ مِنْ جُهَلاهـا
أَمْ لِـذِكْـرٍ أنـافَ أَمْ لِعُهـودٍ في ذِمَـام الإسلام قـد حَفِظاهـا
إنْ يَكـونَـا كَزَعْمِهِمْ أَسَدَيْ بَـأْ سٍ ، فأيُّ الفرايسِ افترساهـا؟
كيف لم يَـظفـروا ولا بجـريحٍ ويـدُ اللَّيثِ جَمَّـةٌ جَـرحـاهـا
إنْ تكنْ فيهمـا شجـاعـةُ قِـرْمٍ فلمـاذا في الدِّين مـا بَـذَلاهـا؟
ذَخِـرَاهـا لِمُـنْـكَـرٍ وَنَـكِـيـرٍ أَمْ لِأجنـادِ مـالِـكٍ ذَخِـرَاهـا
لـم يُجيبَـا نـداءَ أحـمـدَ إلَّا لأُمـورٍ من كـاهن عَـقَـلاهـا

عَلِمَا أنَّ أحمداً سَيَلِيهَا وإذا مات أحمدُ وَلِيَاها

فَأجابتْ لرغبةٍ لا لِرُشدٍ كلماتُ الإسلام إذ سَمِعَاها

نَكَثَا بيعةَ الذي بايعتْهُ من مُلوكِ السَّبع الأُولَى عَظَّماها

أهو المختفي بظلِّ عريشٍ حيث ظِلُّ الْكُماةِ كان قَناها

أمْ هو القائلُ الْمُلِحُّ أقِيلُوني منها فإنَّني أأْباها

لَو حَوى قلبَ بنتهِ لم تَرُعْهُ من صِفَاحِ اليهود وقعُ شَباها

يومَ جاءتْ تَقودُ (بالجمل) العسكرَ لا تتَّقِي رُكُوبَ خُطاها

فَألَحَّتْ (كلابُ حَوْأَب) نَبْحاً فاستدلَّتْ به على حَوْبَاهَا

يا تُرى أيُّ أمَّةٍ لِنَبِيٍّ جازَ في شرعِهِ قتالُ نِسَاها

أيُّ أمٍّ للمؤمنينَ أساءتْ بِبَنِيهَا فَفرَّقَتْهُم سِواها

شَتَّتَتْهُمْ فِي كُلِّ شِعْبٍ وَوادٍ بئسَ أمٌّ عَتَتْ على أبناها

نَسِيَتْ آيةَ التبرُّجِ أمْ لَمْ تَدْرِ أنَّ الرَّحمٰنَ عنه نَهاها

حَفِظَتْ أربعينَ أَلْفَ حديثٍ ومِنَ الذِّكْرِ آيةٌ تَنساها

ذَكَّرَتْنا بِفِعْلِهَا زَوْجَ موسى إذ سعتْ بعد فَقْدِهِ مَسْعَاها

قاتلتْ يوشعاً كما قاتلتْهُ لم تُخالِفْ حَمراؤُها صَفْرَاها

واستمرَّتْ تَجُرُّ أرديةَ اللَّهو الذي عن إلٰهِهَا أَلْهَاها

فَبإحْرَاقِ مالكٍ سوف تُجْزَى من لَظَى مالكٍ أشَرَّ جَزَاها

لا تَلُمْنِي يا سعدُ في مَقْتِ قومٍ ما وفتْ حقَّ أحمدٍ إذْ وَفَاها

أوَما قال عِتْرَتي أهلُ بَيْتِي إحْفَظُوني في بِرِّها وَوِلَاها؟

نازَعُوهُ حَيّاً، وَخانُوهُ مَيْتاً يا لَتِلك الْحُظوظِ ما أشقاها!

أمَّـةٌ لَـمْ تَؤُمَّ أَمْـرَ سَـفيـرِ الله ضَـلَّتْ وضـلَّ مَنْ يَـهـواهـا

كيف أَقصتْ أخَـا نِـزَارٍ وآوَتْ مِن أعـادي محمدٍ أعـداهـا

تَعِسَتْ جَبْهَـةُ الْجَبـان تُنـافِي كلَّ خيرٍ، لا خيرَ في مَنْ رَجاها

أحديثُ القيانِ يَكـرهُهُ الـرِّجْسُ وللمصـطفى يَلَذُّ غِنـاهـا؟؟!

لَيْتَـهُ حين قـال: لَـولا عـليٌّ وَبـدتْ آيـةٌ لِلْهُـدَى فـاقْتَفـاهـا

لكنِ الجهـلُ لم يَـدَعْـهُ بَصيـراً أيُّ عين رأتْ عَقِيبَ عَمـاهـا

إيْ وَحَقِّ الإِسـلامِ لَـولا عليٌّ مـا قَضَاهـا فتىً ولا أَفتاهـا

قـد أَطلَّتْ عَلَى العـوالِمِ منـه حكمـةُ اللهِ لم يَسَعْهَا فَضـاهـا

تَتَجـلَّى بـه مُنيـراتُ فضـلٍ كـالـدَّراري سيـارةً في سَمـاهـا

لَمْ يَـذوقوا الهـدَى وَلَـو طَعِمُـوه عَـرَفُوا للنبيِّ قَـدْراً وَجـاهـا

صـاحَبـوهُ ونـافَقُـوا في هَـواه فَهَـوَوْا في جَحِيمِها ولَـظاهـا

نَقَضُـوا عهـدَ أحمـدٍ في أخيـهِ وأذاقـوا الْبَتـولَ مـا أشجـاهـا

وهي الْعُـروةُ التي ليس يَنْجُـو غيـرُ مستعصمٍ بِحَبْـلِ وِلاهـا

لـم يَـرَ الله لـلنـبـوَّةِ أجـراً غيـرَ حفظِ الـودادِ في قُـرْبـاهـا

لستُ أدري إذ رُوِّعَتْ وَهْيَ حَسْرَى عـانَـد القـومُ بَعْلَهـا وَأَبـاهـا

يـومَ جـاءتْ إلى عَـدِيٍّ وتَيْمٍ ومِنَ الـوجـد مـا أَطـال بُكـاهـا

فَـدعتْ واشتكتْ إلى الله شَجْواً والـرَّوَاسي تَهْتَـزُّ من شَكْـوَاهـا

فـاطمأنَّتْ لهـا القلوبُ وكـادتْ أن تـزولَ الأحقاد ممَّن حَـواهـا

تَـعِظُ القـومَ فـي أتمِّ خـطابٍ حَكَتِ المصـطفَى به وحَكـاهـا

أيُّهـا القـومُ رَاقِبُـوا اللهَ فينـا نحنُ من رَوضـة الجليل جَنـاها

نحنُ مِنْ بـاريءِ السَّماواتِ سرٌّ   لـو كَرِهْنَا وُجُـودَها مَا بَرَاهـا
بَـلْ بِـآثـارنـا ولـطفِ رِضـانـا   سَـطَحَ الأرضَ والسمـاءَ بَنـاهـا
وبـأَضـوائِنـا التي ليس تَخْبُـو   حَوَتِ الشُّهْبُ ما حوتْ من ضِياها
وَاعْلَمُـوا أنَّنـا مشـاعـرُ دينِ الله   فيكـمْ فـأَكْـرِمُـوا مَثْـوَاهـا
ولَنـا مِنْ خـزائنِ الغيبِ فَيْضٌ   تَـرِدُ المهتـدونَ منـه هُـداهـا
إنْ تَـرُوموا الْجِنَـانَ فَهْيَ مِنَ اللهِ   إلَـيْـنَـا هَـدِيَّـةٌ أهْـدَاهـا
هـيَ دارٌ لـنـا ونـحـنُ ذَوُوهَـا   لا يَـرَى غيـرُ حِـزْبِنَا مَـرْآهـا
وكـذاك الجحيمُ سِجْنُ عِـدَانـا   حَسْبُهم يـومَ حشرِهم سُكْناهـا
أيُّهـا النـاسُ أيُّ بِـنْـتِ نَـبِـيٍّ   عَن مَـوَارِيثِـهِ أَبُـوهـا زَوَاهـا؟
كيف يَـزْوِي عَنِّي تُـرَاثي عَتِيقٌ   بِـأحـاديثَ مِنْ لَـدُنْـهُ افْتَـرَاهـا؟
هـذه الْكُتْبُ فاسأَلوهـا تَـرَوْهَـا   بـالمـواريثِ نـاطِقـاً فَحْـوَاهـا
وبمعنى (يُـوصِيكُـمُ اللهُ) أمـرٌ   شـامـلٌ للعبـادِ في قُـرْبـاهـا
كيفَ لَمْ يُـوصِنَا بـذلك مَـوْلانـا   وَتَيْمـاً مِـنْ دُونـنـا أوصـاهـا؟
هــل رَآنـا لا نستحقُّ اهتِـداء   واستحقّتْ تَيْمُ الْهُدَى فَهَداهـا؟
أَمْ تَـراه أضلَّنـا في البـرايـا   بعد علمٍ لكي نُصيب خُطاهـا؟
أَنْصِفـوني من جائِـرَيْنَ أَضَـاعَـا   ذِمَّـةَ الْمُصـطفَى وَمَـا رَعَيَـاهـا
وَانْـظُروا في عواقبِ الـدهرِ كم   أَمْسَتْ عُتاةُ الرِّجالِ مِنْ صَرْعاها
ما لكمْ قد مَنَعْتُمونا حُقوقاً   أَوجَبَ اللهُ في الكتاب أَدَاها
وحَـذَوتم حَـذْوَ اليهـودِ غَـداةَ   اتَّخَذُوا العجلَ بعد موسى إلَهـا
قـد سلبتمْ مِنَ الخـلافـةِ خـوداً   كـان منّـاً قِنَـاعُـهـا وَرِدَاهـا

وسَبَيتمْ من الْهُدَى ذاتَ خِدْرٍ عَزَّ يوماً على النبيِّ سِبَاها
إنْ رَضيتمْ من دُوننا خُلفاءً لاشْتَفَتْ من قلوبكم مَرْضاها
أو أبيتمْ عهودَ أحمدَ فينا لأوقِيتُمْ من الرَّزايا سُطاها
تَدَّعُون الإسلامَ إفْكاً وَزُوراً كَذِبَتْ أُمَّهَاتُكُم بادِّعاها
أيَّ شيءٍ عبدتُم إذْ عَبدتُم أنْ يُوَلِّى تَيْمٌ على آل طَه
هذه البُردةُ التي غَضِبَ اللهُ على كُلِّ مَن سِوانا ارْتَداها
فَخُذوها مَقْرونةً بِشَنارٍ غيرَ مَحمودةٍ لكمْ عُقْباها
وَالْبَسُوها لِبَاسَ عارٍ ونارٍ قد حَشَوْتُمْ بِالْمُخْزِياتِ وِعَاها
لَم نَسَلْكم لحاجةٍ واضطرارٍ بل نَدُلُّ الورى على تَقواها
كم لَنا في الوجودِ رَشْحَةَ جُودٍ يَعجزُ السبعةُ البحارُ غِناها
عَلِمَ اللهُ أَنَّنا أهلُ بَيْتٍ ليس تأوِي دَنِيَّةً مَأْوَاها
لَو سألنا الْجَليلَ إلْقاءَ عَدْنٍ أوْ مَقاليدَ عرشِهِ أَلْقاها!
سَعْدُ دَعْنِي وهَجْوَ سُودِ المعاني أكبرُ الحمدِ في مَعاني هِجَاها
كيف تَنْفِي ابْنَةَ النبيِّ عِناداً لا نَفَى اللهُ من لَظى مَنْ نَفاها
ولأيِّ الأُمُورِ تُدْفَنُ سِرّاً بَضْعَةُ المصطفى ويُعْفَى ثَراها
فمضتْ وَهْيَ أعظمُ الناسِ وَجْداً في فَمِ الدهرِ غصَّةٌ مِنْ جَواها
وَثَوَتْ لا يَرَى لها الناسُ مَثْوىً أيَّ قُدْسٍ يضمُّه مَثْواها
ثُمَّ هَمَّتْ ببعلِها كُلُّ كفٍّ واستمدَّتْ له رِقاق مُداها
أُمَّةٌ قاتلتْ إمام هُداها يا تَرى أين زالَ عنها حَياها
كم أرادتْ إطفاءَ نارِ حُسامٍ صاغَهُ اللهُ ثَمْرَةً لِحَشَاها

بـأبـي مَنْ لَـهُ مَـطَاعِـنُ كَـفٍّ لا يُـدَاوَى من الـرَّدَى كَلْمَـاهـا

إن ذاتَ العلـوم تُنْمَى جميعـاً لـعليٍّ، وكـان رُوْح نَـمـاهـا

وكـذا كـلُّ حكمـةٍ مَـكْنـتـهُ من أعـالي سَنَـامِهَا فَـامْتَـطاهـا

ومتَى يُـذْكَرُ النَّـدى فَهـوَ لُـطْفٌ إنَّ مُحْيـي المـوتَى بـه أحيـاهـا

وَلإقـدامـهِ تَـزولُ الـرَّواسي والمقـاديـرُ تقشعـرُّ حَشـاهـا

ومَـرامي الأسـرارِ سـدَّدَ سَهْمَ اللهِ مـنـه لَـه فمَـا أخـطاهـا

كم لـه من مـواهبٍ مُـردفـاتٍ هي كالشمسِ لا يَحُول ضِيَـاهَا

تمّت

الفِهرس